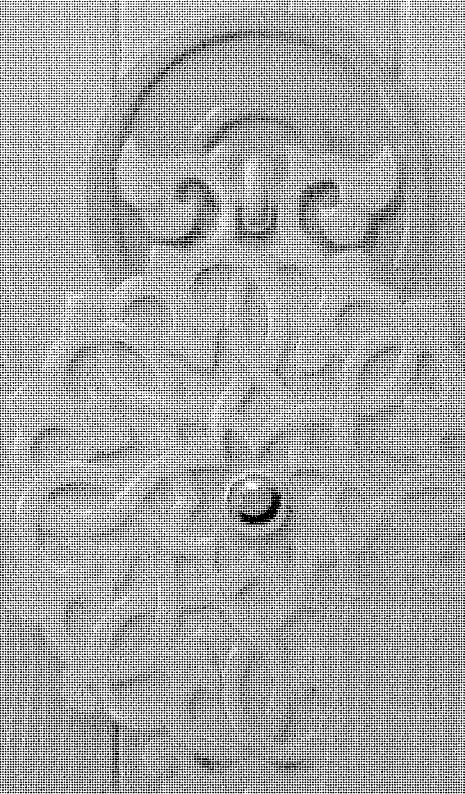
الدين والحياة

الدكتور عبد الله شحاتة



دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

الدين والحياة

دكتور عبدالله شحاتة

أستاذ الشريعة الإسلامية

كلية دارالعلوم - جامعة القاهرة

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين، وعلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فهذه بحوث تتناول جوانب متعددة من حياتنا، وسلوكنا، ونظام مجتمعنا .

حاولت فيها تقديم رؤية إسلامية فى شئون البيت، والمدرسة والتعليم والحياة ، وما يتصل بذلك ؛ وجعلت عنوانها (الدِّين والحياة) .

آملا أن تكون هداية ونورًا لحياتنا ومجتمعنا، والله أسأل أن ينفع بها ، وأن يوفق أمتنا ومجتمعاتنا إلى طريق الخير والكرامة، والعز والسؤدد، والنصر والسعادة.

إنه نعم المولى ونعم النصير .

الباب الأول

١ - الإسلام والبيئة .

٢ - تفسير القرآن الكريم .

٣ - البيت المسلم .

٤ - تربية الأبناء وتعليمهم .

٥ - الجنّ والسحر والحسد .

٦ - الزواج الناجح بين البيت والمجتمع .

٧ - كيف نحمى شبابنا من الضياع .

٨ - الدعوة إلى الإسلام فى الداخل والخارج .

٩ - الرسول القائد .

١٠ - النهوض بخطبة الجمعة ، والحديث الدينى ولغة التأليف فى العلوم الإسلامية .

الإسلام والبيئة

الإسلام والبيئة

خلق الكون

تفيد النصوص الشرعية أن الله خلق الكون فى ستة أيام، وليست هذه الأيام مثل أيامنا، حيث لم يكن فى ذلك الوقت شمس أو قمر أو ليل أو نهار، بل هى ستة مراحل، ربما زادت عن بلايين السنين، وفى القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الحج ٤٧.

ويقول الله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ المعارج ٤.

وتفيد نظرية السديم أن هذا الكون كان كرة ملتهبة، مرت بها بلايين السنين حتى هدأ ظاهر الأرض، وهدأت السماء، وتكون عالم وسيط بين الأرض والسماء هى طبقات الهواء، وأصبحت السماء كالسقف المرفوع، ووجد الغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض؛ ليحفظها من ملايين الشهب والنيازك، ثم صارت السماء صالحة لأن تمطر، وصارت الأرض صالحة لأن تنبت، وتكامل الكون بعد ذلك.

وتفيد آيات القرآن الكريم : أن هذا الكون خلقه الله (سبحانه وتعالى) بقدرته، ويسَّر تكامله وتعاونه، ليكون دارا واسعة للإنسان، واستخلف الله الإنسان فى عمارة الأرض، والمحافظة عليها، وإثراء الحياة وتحسينها، ومساعدة الآخرين ومعاونتهم، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ سورة فصلت ٩ - ١٢.

فالأرض خلقت فى يومين، والجبال والبحار والأنهار والأرزاق والأقوات فى يومين، فيصبح المجموع أربعة أيام، والسماء خلقت فى يومين، فيصبح المجموع ستة أيام.

وقد ادَّعى البعض أن الله تعب فى اليوم السابع واستلقى على العرش، فبين القرآن أن الإلَه (سبحانه) منزه عن التعب والكلال ؛ لأنها صفات المخلوق محدود القدرة، أما الله فهو على كل شىء قدير.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا من لُغُوبٍ ﴾ سورة ق ٣٨.

وتفيد آيات أخرى أن الأرض خلقت غير مدحوة، أى غيرصالحة للإقامة عليها، ثم خلقت السماء بعد الأرض ، ثم دحيت الأرض وصارت مستديرة، أو غيركاملة الاستدارة؛ لأنها منبعجة عند خط الاستواء، مفرطحة عند القطبين، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ الرعد ٤١ .

والمفسرون القدامى يقولون: إن الأطراف تشير إلى الأشراف أى الزعماء والكبراء إذا ظلموا أخذهم الله، كما حدث لفرعون وهامان وقارون، (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون).

كما قارن المفسرون القدامى بين ما تشير إليه سورة فصلت، من أن الأرض خلقت قبل السماء، وما تشير سورة النازعات من أن السماء خلقت قبل الأرض، فقالوا إن الدحو غير الخلقة، والله خلق الأرض، وجعلها كالدحية أى البيضة، قال تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ، وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ سورة النازعات ٢٧ - ٣٣. أو أن كلمة بعد ذلك، يكون معناها فوق ذلك،

والمتأمل فى الآيات العديدة التى تحدثت عن خلق السموات والأرض، وعن خلق الكون يخلص إلى النقاط الآتية :

(١) وجود مراحل ستة للخلق عموما.

(٢) تداخل مراحل خلق السموات مع مراحل خلق الأرض.

(٣) خلق الكون ابتداء من كومة أولية فريدة، وكانت تشكل كتلة متماسكة، انفصلت أجزاؤها بعد ذلك.

(٤) تعدد السموات وتعدد الكواكب التى تشبه الأرض.

(٥) وجود خلق وسيط بين السموات والأرض.

(٦) أن المطابقة واضحة بين مفهوم السديم الأولى فى العلم الحديث، والدخان على حسب آيات القرآن الكريم، للدلالة على الحالة الغازية للمادة التى كونت الكون فى هذه المرحلة الأولى، وفى سورة « طه » يقول الحق (سبحانه) : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴾ سورة طه ٦ .

أصل الحياة :

شغلت هذه المسألة الإنسان فى كل العصور، سواء ما كان يخصه منها، أو ما يخص الكائنات المحيطة به، قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة الأنبياء ٣٠.

والرتق ضد الفتق ومعنى (كانتا رتقا) : أى كانتا ملتصقتين، ففتق الله هذه من هذه، فرفع الله السماء ووضع الأرض، وفصل بينهما بالهواء ؛فأمطرت السماء، وأنبتت الأرض.

قال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ ... والعبارة يمكن أن تعنى أن كل شىء مصدره الماء كمادة جوهرية، أو أن أصل كل شىء حى هو الماء، ويتفق هذان المعنيان تماما مع العلم.

فالماء هو العنصر اللازم لأى حياة نباتية، قال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ سورة طه ٥٣.

ويطلق الماء على السائل المفروز بواسطة الغدد الخاصة بالتناسل، وهو يحتوى على الحيوانات المنوية، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ النور ٤٥.

ويمكن أن يراد بالماء هنا ماء المطر والأنهار والمحيطات، كما يمكن أن يراد بها السائل المنوى.

المؤمن والكون :

يتأمل المؤمن فى خلق الكون ، فيجد أثر القدرة الإلهية فى كل ما خلق الله (سبحانه وتعالى)، ويجد ذلك فى السماء العالية، والجبال الراسية، والبحار والأنهار، والأرض والنبات ، والليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم والفضاء والهواء ، ويجد التكامل والتناسق فى هذا الكون، ويشاهد ببصره وبصيرته أثر القدرة الإلهية، التى نحيا فى ظلها وعطفها، فالله تعالى قدَّر فى الأرض أرزاقها وأقواتها ، وأمرنا أن نسير فى مناكبها، بالزراعة والصناعة والتجارة ، والتقنية والعلم والطب والفلك والهندسة ؛ وبهذا تتآخى العلوم الشرعية، والعملية، بل وسائر العلوم.

استخلاف الإنسان فى الأرض :

خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وزوجه حواء، وأسكنه فسيح الجنة، وأمره أن يأكل من أشجارها وثمارها، ونهاه عن الأكل من شجرة معينة، ثم أكل آدم من الشجرة، ثم ندم وتاب، قال تعالى : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ سورة طه ١٢١، ١٢٢. وهبط آدم إلى الأرض، خليفة عن الله فى إعمارها وإصلاحها، وقد زود الله آدم عليه السلام بأدوات هذه الخلافة، فمنحه العقل والإرادة والاختيار، وأعطاه السمع والبصر والحواس والفؤاد، ونفخ الله فيه من روحه، وميزه فى ازدواج عناصر تكوينه، فهو مكون من جسد وروح، صالح لترقية نفسه، وتصفية روحه، ليكون أسمى من الملائكة، وصالح

للانتكاس والجرى وراء الشهوات والملذات، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ سورة الشمس ٧ - ١٠. وقد أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب لهداية الإنسان، وتذكيره بواجبه فى هذه الحياة، قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا ﴾ سورة النساء ١٦٥.

الملائكة والإنسان :

الملائكة أجسام من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وقد خلق الله الإنسان من طين، وخلق الجن من النار، وخلق الملائكة من نور، وأخبر الله الملائكة أنه سيجعل فى الأرض خليفة؛ لعمارة الأرض، وإثرائها بالزراعة والصناعة والتجارة، والعلم والاختراع والابتكار، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ البقرة ٣١، وقال (سبحانه) : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة ٣٠ .

كانت الملائكة ترى أنها أصلح من الإنسان فى عمارة الأرض، فهم فى طاعة مستمرة، ولكن الحق (سبحانه) أعلم بما يصلح الأرض، فالأرض لو ملئت بالملائكة، وانصرفت للعبادة؛ لتركوا وجه الأرض خرابا.

والإنسان وحده هو المخلوق الوحيد الذى يملك الإرادة والاختيار، وقد منح العقل الكسب، والتمييز والقدرة على الخير والشر، والتنافس فى عمارة الأرض بالزراعة والصناعة والعلم والاختراع والابتكار، ومع ذلك فهو ظلوم جهول، فى بعض أفراده، فنجد اللصوص وقطاع الطرق، والظلمة والزناة والكفار بالله، ونجد لذلك الشرطة والقضاة، والمحاكم والسجون والقوانين، وإقامة الأحكام وتنفيذ الحدود، أى أنه حتى وجود الظلمة ومحاكمتهم فى الدنيا، مقصود لله تعالى؛ حتى تعمر الأرض، قال تعالى :﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ..... ﴾ هود ١١٨ - ١١٩ .

منظومة الكون :

الكون كله خاضع لله خضوع القهر والغلبة، فالسماء والأرض والشمس والقمر، والليل والنهار والأرض والبحار والجبال والنجوم والشجر والدواب، وسائر المخلوقات مقهورة بفطرتها على الامتثال لأمر الله، قال تعالى : ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يس ٤٠ .

فلا تملك الشمس أن تظهر بالليل، ولا الليل يملك أن يسبق النهار فيأتى قبل أوانه، وكل ما فى الكون له وظيفة يؤديها فى امتثال وطاعة، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت١١ .

قال الزمخشرى فى تفسير الكشاف : أى أظهرتا من الانقياد والامتثال والطاعة والالتزام، بحيث لونطق لسان حالهما لقال : (أتينا طائعين).

ونظيره من أمثال العرب : (قال الحائط للوتد : لم تشقنى، فقال الوتد للحائط : اسأل الحجر الذى يدقنى).

فهذا القول بلسان الحال لا بلسان المقال، وقال غيره من المفسرين : لا يبعد أن يخلق الله فى السماء والأرض قدرة على هذا القول بلسان لا نفقه كلامه، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ الإسراء ٤٤ .

تميز الإنسان :

الإنسان مستخلف عن الله فى عمارة الأرض، قال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ سورة هود ٦١، فالإنسان مستخلف على إدارة الأرض، وفقا لمقاصد خالقها ؛ لاستثمارها لنفعه، ولنفع غيره من الخلق، ولتحقيق مصالحه ومصالحهم جميعا، وهو لذلك أمين عليها، فيجب أن يتصرف تصرف الأمين فى حدود أمانته، والإنسان جزء متميز فى الكون وصلته بالكون هى :

١ – صلة التأمل والتفكير والاعتبار فى الكون وما فيه.

٢ – صلة الاستثمار المتوازن الحافظ والانتفاع والتعمير، والتسخير لمنافعه، ومصالحه.

٣ – صلة العناية والرعاية؛ لأن أعمال الإنسان الصالحة، غير محدودة بمصلحة الإنسان وحده، بل تمتد إلى مصالح خلق الله أجمعين، فخير الناس أنفعهم للناس، « وفى كل كبد رطبة أجر ».

روى البيهقى فى شعب الإيمان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (الخلق كلهم عيال فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله)، وروى البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون ؟).

البيئة فى اللغة العربية

كلمة البيئة من (بوأ)، يقال: تبوأت منزلا أى نزلته، وبوأت الرجل منزلا بمعنى هيأته ومكنت له فيه. قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ يوسف ٥٦ .

والمباءة منزل القوم فى كل موضع، ويسمى كناس الظبى (وهو موضعه فى الشجر يكتن فيه ويستتر) مباءة، وكذلك معاطن الإبل والغنم، أى منازلها حول الماء مباءة.

يتضح من ذلك أن البيئة هى المنزل والمكان الذى ينزل فيه الإنسان أو الحيوان، كما أن البيئة تعبر عن الحالة، فيقال: هو من بيئة حسنة، أو هو من بيئة سوء.

فالبيئة تطلق على المكان أو الحالة، والبيئة أيضا هى الإطار الذى يمارس الإنسان فيه حياته، مثل الهواء والماء والأرض، كما تشمل البيئة عناصر الثروة مثل الزراعة والرى، والمصايد والغابات والمعادن والبترول، وسنحاول أن نقدم فكرة عن العناصر الطبيعية الأساسية فى هذا الكون (إن شاء الله).

١ - السماء

رفع الله السماء وزينها بالنجوم، وجعلها سقفا مرفوعا، وهى من آيات الإبداع والقدرة الإلهية، وقد مرت بلايين السنين على خلق السماء، ولم يحدث بها تصدع أو خلل، أو أى عيب من العيوب؛ فلا تشقق فيها ولا اضطراب، قال تعالى :
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾ سورة تبارك ٣ .

والنجوم فى السماء لها ثلاث فوائد :

١ - هداية السائرين فى البر والبحر والجو.

٢ - زينة للسماء - كما تزين البيوت - بالثريا.

٣ - هى شهب تقتل بعض الجن أو تخبلهم، لتمنعهم من استراق السمع ، قال تعالى : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ، لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ، دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ، إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ سورة الصافات ٦ - ١٠ .

وقد تحدثت الجن بذلك فقالت : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ سورة الجن ٩.

من آثار القدرة الإلهية

١ - الغلاف الغازى المحيط بالأرض يحميها من ملايين الشهب، التى تهبط عليها من الفضاء الخارجى، وهذا الغلاف الغازى يحفظ الأرض فى درجة مناسبة من الحرارة، وهو الوسيط الذى يحمل بخار الماء المتصاعد من البحار والمحيطات؛ ليتكثف منه مطرا، ويسقى الأرض ويروى النبات والإنسان والحيوان.

٢ - لو كان الأكسجين بنسبة ٥٠ ٪ أو أكثر من الهواء، بدلا من ٢١ ٪ ؛ لكثرت الحرائق، لدرجة أن أول شرارة فى البرق تصيب شجرة؛ لابد أن تلهب الغابة كلها.

٣ - ولو كان الأكسجين بنسبة ١٠ ٪ من الهواء؛ لتعذر أن يكون التمدن الإنسانى على ما هو عليه الآن.

٤ - يستنشق الإنسان الأكسجين، ويستنشق النبات ثانى أكسيد الكربون، ولو وجد الإنسان وحده لمات، ولو وجد النبات وحده لذبل وذوى.

فالكون كله متكامل ترعاه يد الله: ﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ النمل ٨٨.

٢ - الماء

الماء نعمة كبرى، فقد جعله الله سببا فى حياة الأرض والإنسان والحيوان والكائنات، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الأنبياء ٣٠ .

تأهيل البيئة :

الماء وسيلة من وسائل الطهارة والنظافة، والسعادة النفسية، وله أثره فى إحياء الأرض بعد موتها، وتأهيلها للزراعة والإنتاج، وقد حث الإسلام على تأهيل البيئة، وإحياء الأرض الموات، وفى الحديث الشريف : (من أحيا أرضا مواتا فهى له)، ومن آثار علمائنا : (لو علم عباد الله، أن رضا الله فى إصلاح أرضه، ما تركوا شبرا من الأرض خرابا).

ومن واجبنا العناية بمياه البحار والأنهار والمحيطات، وحمايتها من التلوث، وإعادة تأهيلها، فقد قضت حكمة الله أن جعل ٧٠ ٪ من الكرة الأرضية مغطاة بالمياه، فى صورة محيطات وبحار وأنهار وبحيرات، وهذه البحار والمحيطات، هى المسئولة عن تقديم ٧٠ ٪ من الأوكسجين، اللازم للكائنات الحية، الموجودة على الكرة الأرضية، بينما تقدم النباتات المنزرعة فقط ٣٠ ٪ من الأوكسجين، اللازم لهذه الكائنات.

وإذا تساءلنا عن سر ذلك ؟

فالإجابة : أن هذه المصادر المائية، تحتوى على مجموعة رئيسية، من الهائمات النباتية، وهى تقوم بأخذ الأملاح المعدنية، مثل النترات والفوسفات، وتستخدم ضوء الشمس، فى عملية التمثيل الضوئى، حيث تستهلك ثانى أكسيد الكربون، وتنتج الأوكسجين، وتقوم بإنتاج المواد العضوية، وتقوم الأسماك والقشريات، بالتغذية على كثير من هذه الكائنات، وتعتمد الثروة السمكية فى هذه المياه، على غنى المياه بالهائمات النباتية والحيوانية...

ويعتبر البحر الأبيض المتوسط،نموذجا لمياه البحر الشديدة التلوث، حيث نجد أن ٨٠ ٪ من مياه الصرف الناتجة عن الزراعة تصب فى هذا البحر. ولقد قدر العلماء، أننا نحتاج إلى ٥٠ عاما من اليوم، وبشرط عدم إلقاء أية مواد عضوية أخرى فى البحر، لكى يعود البحرة مرة ثانية سالما معافى.

إن تأهيل البيئة واجب إنسانى وقومى ودينى، إن معدل الصيد فى البحر الأبيض المتوسط انخفض إلى ٧٠ ٪، والأسماك التى تخرج منه تحتوى على كميات كبيرة من الملوثات، فى صورة مواد سامة، بسبب أن ٨٥ ٪ من مياه المجارى، لما يقرب من ١٢٠ مدينة ساحلية، تتبع ١٨ دولة تصب فى هذا البحر، دون معالجة كافية، بالإضافة إلى نفايات ١٠٠ مليون سائح.

روح الدين والتلوث

لقد أمرنا الله بعمارة الأرض وإصلاحها، ونهى عن الفساد والإفساد، قال تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ الأعراف ٥٦.

إن المحافظة على مياه البحار والأنهار والمحيطات - محافظة على حياة الإنسان والحيوان والنباتات، قال تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ المائدة ٩٦.

يجب أن ننشر الوعى البيئى لحماية البيئة، بل وسن القوانين اللازمة، لعقوبة من يتسبب فى تلويث البيئة؛ لأن الإفساد حرام، ومن قواعدنا الفقهية : (ما أدى إلى الحرام فهوحرام)، (لا ضرر ولا ضرار)، (الضرر يزال).

الماء لنا وللأجيال القادمة

إن الكون كله أصبح قرية كبيرة، يتأثر بعضه ببعض، وحق الانتفاع بالمياه مكفول للجميع، بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد، ولا تعطيل ولا إسراف، ولأهمية الماء فى استمرار الحياة كلها، جعله الله حقا شائعا بين بنى آدم وكل المخلوقات، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الناس شركاء فى ثلاث الماء والكلأ والنار) رواه أبو داود وابن ماجه.

كنا نشاهد فى أعقاب الغزو العراقى الجائر للكويت، فى أغسطس ١٩٩٠، نشاهد آثار الحريق، لآبار البترول الكويتية، فى إفساد البيئة وإفساد المياه والتربة،

والهواء والفضاء، وهذا عدوان صارخ، وظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وظلم للحيوان وللمياه، وللهائمات النباتية، وظلم للأجيال كلها؛ لأن الإضرار بمياه البحار والأنهار والمحيطات، هو فى الحقيقة إضرار بالأجيال القادمة، بمعنى أن زيادة الملوثات فى هذه المياه، يؤدى إلى موت الحياة، الموجودة فى مياهها، وكذا نقص الأوكسجين، وبالتالى موت الكائنات الحية، وهذا حرام طبقا للقاعدة الفقهية (ما أدى إلى الحرام فهو حرام).

٣ - الأرض والتربة

بين الإنسان والأرض حنين وولاء، فهذه الأرض أم رءوم خلقنا منها، ونأكل من خيراتها وندفن بين أحضانها، وقد ورد فى الأثر (إنها أمكم الأرض)، وقال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ طه ٥٥.

ومن معادن الأرض، خلقت العناصر الصلبة، التى تحتوى عليها أجسامنا، وأجسام الأحياء من حيوان ونبات.

إفساد التربة:

لا يجوز إفساد التربة أو إتلافها أو تقليل خصوبتها، أو تجريف التربة، ونقل التراب المفيد منها، من أجل كسب مادى.

فالأرض وعاء لنعم الله المتعددة على الإنسان، بل هى مائدة الله فى هذه الدنيا، يأكل منها الإنسان والحيوان والطير، وفيها صنوف الأرزاق، ومن واجبنا المحافظة عليها سليمة نافعة مفيدة، علينا أن نتبع أساليب مفيدة، لا تؤدى إلى تدهور الأرض، عند البناء والحرث والرعى والاحتطاب والتعدين؛ علينا أن نتبع من الأساليب، ما يساعد على خصوبة التربة وتحسينها.

إن إتلاف التربة يؤدى إلى إتلاف الحياة وتدهورها، فيجب المحافظة على تنمية الزراعة والثروة، واحترام الأرض كمادة لنفع الإنسان والحيوان والطير، قال (صلى الله عليه وسلم) : (جعلت لى الأرض كلها مسجدا وطهورا) رواه الشيخان.

ومن ثم علينا أن نعامل الأرض والتربة والزراعة، بالاحترام الذى تستحقه المساجد، وأن نحافظ على بقائها طاهرة غير مدنسة، نافعة سليمة مفيدة.

٤ - الجبال

الجبال لها منافع متعددة، فهى أوتاد تمسك بالأرض، وتحفظها من الزلازل والبراكين، وهى فى نفس الوقت مستودع لمياه الأمطار، ومخزن للماء الفرات.

وقد ربط القرآن بين رسو الجبال وكونها أوتادا، وبين الأبخرة والسحب ومجارى الأنهار، وانبثاق الينابيع وإدرار القوت والرزق وضمان المنافع، ومن عجيب الإعجاز أن هذه الحقائق قد ذكرت على لسان نبى أمى، وقد قرن القرآن بين الجبال والمياه، فإذا لم تذكر الأنهار مع الجبال، ذكر ما يكون من آثارها، من الخصب والنماء والقوت والزرع والمتاع قال تعالى : ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ النازعات ٣٢ - ٣٣، وقال تعالى : ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ الحِجْر ١٩، وقد هبط الوحى على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فى غار حراء على ربوة جبل مرتفع، وتمت الهجرة من غار ثور، والطور وجبل الجليل، وأبو قبيس، هتفت على روابيها أصوات الرسالات، وقد أرسيت سفينة نوح على الجودى، ونتق الجبل لموسى، وعرفات والصفا والمروة، جبال تتم عندها مناسك الحج، ولعل الجبال أبعد عن صخب الحياة، وأدعى إلى التأمل والهدوء والتفكر، فهى محضن من محاضن طهارة الأرواح، ودار للعبادة والصفاء.

٥ - الزراعة

الزراعة نعمة ملموسة من نعم الله (سبحانه وتعالى)، فهو (سبحانه) يسوق المطر، ويحيى به الأرض، وينبت النبات، وتتحول الأرض الهامدة إلى جنات وبساتين، وزروع نضرة، تنبت كما ينبت الأطفال، وتحيا وتترعرع، ويستفيد منها الإنسان والحيوان والطير، وكل كائن حى، قال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ، أَنَّا صَبَبْنَا

الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ ﴾ سورة عبس ٢٤ - ٣٢ .

القرآن والزراعة :

لفت القرآن أنظارنا إلى بدائع الله فى هذا الكون، ومن ذلك إحياء الأرض بعد موتها، وإنبات الجنات من العنب والذرة والقمح والقطن، والتفاح والبرتقال وسائر الفواكه والثمار، وأنواع النخيل والنباتات، فمنها الحلو والحامض والمز، قال تعالى : ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ سورة الرعد ٤ .

أثر الزراعة فى تحسين البيئة :

للزراعة أثرها النافع، فى تجميل الكون، وزيادة الرقعة الخضراء، وإطعام الإنسان والحيوان، ولها أهمية قصوى فى تخليص البيئة من ثانى أكسيد الكربون، وفى إنتاج الأوكسجين أثناء عملية التمثيل الكلورفيلى.

إن الزراعة نعمة تستحق الشكر بالمحافظة على التربة، وإدامة تأهيلها، وتحسينها ومساعدتها على أداء وظيفتها على أحسن وجه، قال الإمام الشاطبى : «شكر النعمة هو استخدامها فيما خلقت له» لقد قص القرآن علينا قصة يوسف الصديق، حين عبر رؤيا الملك، وبين له أن النيل سيفيض سبع سنين، ثم يجف سبع سنين، ومن الواجب ادخار القمح فى سنابله، والذرة فى كيزانه، وبناء الصوامع والمخازن، والاقتصاد والتوسط فى الإنفاق، بدون إسراف أو تبذير، واستطاع يوسف أن يجنب مصر المجاعة، وأن يبسط المعونة للبلاد المجاورة، وفى هذا درس علمى عملى مفيد.

البيئة فى السنة النبوية :

يمكن حصر الأحاديث النبوية، التى تعرضت لقضايا البيئة فى أربع مجموعات :

١ - الأحاديث التى تحث على غرس الأشجار، والمحافظة عليها.

٢ - الأحاديث التى تحث على رحمة الحيوانات، وحسن معاملتها، والتى تنهى عن قتلها لغير منفعة مرجوة.

٣ - الأحاديث التى تحث على الحفاظ على صحة البيئة.

٤ - الأحاديث التى تحث على عدم الإسراف.

فوائد الأشجار:

للأشجار فوائد عديدة، منها ما يأتى :

١ - توفير المواد الغذائية للإنسان والحيوان.

٢ - إنتاج كمية كبيرة من الأوكسجين، اللازم لحياة الإنسان والحيوان.

٣ - ظل الأشجار يحمى من حرارة الشمس.

٤ - تعمل كمصاد للرياح، وللوقاية من التيارات الهوائية فى الأرض الصحراوية.

٥ - تعمل كمصفاة للأترية والمواد الملوثة، وكحزام أخضر حول المدن.

٦ - تقوم بعض الأشجار بخفض درجة الحرارة، وبامتصاص بعض المركبات السامة من الهواء.

الأشجار فى السنة النبوية:

حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) على غرس النخيل والأشجار، ورعايتها وحمايتها، وجعل ذلك صدقة جارية وله ثواب عظيم، قال (عليه الصلاة والسلام) : (إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فليغرسها).

وفى صحيح مسلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (لا يغرس مسلم غرسا، ولا يزرع زرعا؛ فيأكل منه إنسان، ولا دابة، ولا شئ إلا كانت له صدقة).

وجاء فى كتاب الترغيب والترهيب الجزء الخامس، طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، حول الحث على زرع الأشجار، ومنها قوله (صلى الله عليه وسلم) : (سبع يجرى للعبد أجرهن- وهو فى قبره بعد موته - من علم علما، أو كرا نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس شجرة، أو بنى مسجدا، أو ورَّث مصحفا؛ أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته).

حفظ النوع والسلالة :

أرشد القرآن الكريم إلى حفظ النوع والسلالة، فى الإنسان والأنعام والأشجار، فإن الله تعالى خلق كل مخلوق؛ ليؤدى دورا معينا فى الحياة، فبقاؤه واستمراره أمر ضرورى، وأشارت قصة الطوفان إلى ذلك، حيث أمر الله نوحا بقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ هود ٤٠ .

٦ - حماية الحيوانات وحسن معاملتها

خلق الله الحيوانات لخدمة الإنسان، والاستفادة بركوبها، والانتفاع بلحومها وجلودها، قال تعالى : ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ النحل ٨.

وفى القرآن الكريم سورة تسمى سورة النمل، وفيها حديث عن النمل وعن الهدهد، وهذه الحيوانات لها ممالك ونظام ودور مهم فى الحياة، قال تعالى :

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾

سورة الأنعام ٣٨.

والمراد بالكتاب هنا كتاب الكون، فهو غاية فى الدقة والنظام والتكامل؛ لأنه فى يد القدرة الإلهية، التى نحيا فى ظل رعايتها وعنايتها، وفى سورة النحل حديث عن عسل النحل، وبيان أن فيه شفاء للناس، وفيها حديث عن اللبن، الذى يستخرج من بين فرث ودم، وقد سبق القرآن « هارفى » فى اكتشاف الدورة الدموية بعشرة قرون تقريبا.

رحمة الحيوان :

دعا الإسلام إلى حماية الحيوانات وحسن معاملتها، ومساعدتها عند المرض، وإطعامها إذا مرضت أو زمنت وكبرت فى السن.

وينبغى ألا نحمل الحيوانات ما لا تطيق، وأن نحسن ذبحها، وألا نذبح أولادها بمرأى منها، فهذه الحيوانات مسخرة لخدمة الإنسان، تؤدى دورها فى إعمار هذا الكون.

روى البخارى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن رجلا سقى كلبا، فأنقذه من الموت عطشا؛فغفر الله له)، وقال : (فى كل كبد رطبة أجر).

وروى الشيخان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (دخلت امرأة النار، فى هرة حبستها حتى ماتت، لا هى أطعمتها؛ ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض).

وأمر (عليه الصلاة والسلام) رجلا، أخذ فراخ طائر من وكرها، أن يرجع بهن من حيث أخذهن، وأمهن معهن.

تعاليم الإسلام الوقائية عند حدوث المرض المعدى

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إذا سمعتم بالوباء بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع الوباء بأرض وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارا منه)، وهذا الحديث يتمشى مع أحدث الوسائل الصحية، فى عزل المناطق المريضة حماية للبيئة، فلا دخول إليها؛ ولا خروج منها.

وعندما أراد عمر بن الخطاب زيارة الشام، وأخبروه أن فيها وباء الطاعون، تشاور مع أصحابه، فأخبروه بالحديث الشريف، فعاد إلى المدينة.

ومن تعاليم الإسلام، عدم دخول المريض على الأصحاء، حتى لا ينقل إليهم العدوى، وقد أمر الإسلام بالتداوى، وعلاج المرض، قال (صلى الله عليه وسلم) : (تداووا عباد الله، فإن الله عز وجل لم ينزل داء، وإلا وأنزل له دواء).

والإسلام دعا إلى النظافة والطهارة، وحث على الاستنجاء، والوضوء والاغتسال، ونظافة الثوب والطعام، والشراب والمساكن والطريق أو الشارع، ومصادر الماء.

٧ - الهواء

الهواء نعمة كبرى، لا غنى للإنسان عنه، وقد جعله الله مشاعا بين الناس.

يقول شوقى :

وأن الماء تروى الأسد منه	ويترع من تلعلعها الكلابا
وأن الشمس فى الآفاق تغشى	حمى كسرى كما تغشى اليبابا

تلويث الهواء :

يرجع تلويث الهواء، إلى اليوم الذى استخدم فيه الإنسان الوقود؛ للأغراض المختلفة، وقد وجد أن وسائل النقل هى المسئولة عن ٦٠ ٪ من تلويث الهواء، حيث تجوب شوارع العالم، عدة بلايين من السيارات، تستخدم كميات هائلة من الوقود. ويتكون الهواء الجاف المحيط بنا من النتروجين بنسبة ٧٨ ٪، والأكسجين بنسبة ٢١٪، ومن كميات ضئيلة من غازات أخرى.

مصادر الثلوث :

١ - العواصف الترابية والبراكين، وحرائق الغابات.

٢ - الصناعة وخاصة الصناعات الكيماوية والبتروكيماويات.

٣ - وسائل المواصلات كالسيارات والقاطرات.

٤ - التلوث بالمواد المشعة.

٥ - حرائق البترول التى أشعلها صدام حسين، وكان لها أثرها على الجو والبر، والإنسان والحيوان . وندعو إلى إعادة تأهيل البيئة، وتجريم العدوان والفساد؛ فهو خروج على سنن الله الكونية، وإفساد فى الأرض بعد إصلاحها، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ البقرة ٢٠٥.

ومما يزيد فى الأسى : أن يأتى العدوان من عربى مسلم مجاور، قد دُعِىَ

مرارا إلى أداء حق العروبة، وحق الإسلام، وحق الجوار، فقابل الإساءة بالإحسان، وخرج على الآداب والأعراف. قال تعالى : ﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ سورة المائدة ٨٧.

ويقول الشاعر العربى :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

وقال رجل : ماحق الجار على أخيه الجار يا رسول الله؟ قال : (إن مرض عدته، وإن أصابه خير هنأته، وان أصابه شر عزيته، وإذا مات اتبعت جنازته، وإذا أتيت بفاكهة فأعط ولده منها، أو أدخلها سرا ولا تخرج بها ولدك يغيظ بها ولده). ثم قال (عليه الصلاة والسلام) : (والله لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه، قيل: وما بوائقه يا رسول الله؟ قال : ظلمه وغشمه).

ويقول الله تعالى : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ سورة محمد ٢٢.

الأخلاق والفلسفة البيئية

الإسلام نظام متكامل، فهو دعوة إلى صلة الرحم، وإكرام الجار، ورعاية اليتيم، وتكافل المجتمع، ورعاية المرضى والضعفاء وبر الوالدين، والتعاون على البر والتقوى.

ومن كل هذه الأمور نجد فلسفة بيئية، عمادها أن الفرد عضو فى المجتمع، يهتم بأمور الناس، ويحرص على سلامتهم، ويتعاون معهم على البر والتقوى، ويسهم فى وجوه الخير، وتربية الأولاد، والشفقة على خلق الله، ورحمة البهائم، وحسن الخُلق والتواضع.

والإنسان مأمور بالأمانة والصدق والحياء، والتقوى والتوبة والتوكل، والصبر على البلاء، وكل هذه الأمور تسهم فى تكامل شخصية الإنسان، وإيجاد دور للفتى

والفتاة فى خدمة المجتمع، والتعاون مع أفراده على النظافة، والرعاية الصحية والثقافية والاجتماعية؛مما يمهد لسلامة البيئة وحسن تأهيلها، وإعادة توجيهها إلى الرقى والتحضر والعمل النافع، والسلوك الحضارى المهذب.

خاتمة

هناك واجبات دينية وأخلاقية نحو البيئة منها ما يخص الفرد، من المحافظة على البيئة والنظافة وتعمير الأرض، وحماية الموارد الطبيعية، وإصلاح التربة، وتنقية الهواء والماء، ومنها ما يخص الأمة؛ مثل: تدخل ولاة الأمور؛ لتحقيق المصالح العامة، ودرء المفاسد عن الأمة، إذ القاعدةُ الكلية هى : (أن تصرف الإمام على الرعية منوط ومرتبط بالمصلحة)، قال علماؤنا : (الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتبطيل المفاسد وتقليلها).

توصيات

١ - أن ينهج المسلمون نهجا دينيا فى علاج قضايا البيئة.

٢ - أن يسعى مختصو المناهج المسلمون، لوضع منهج تربوى يعنى بمشاكل البيئة، ويوضح دور المسلم فى الحفاظ على البيئة وحمايتها.

٣ - إدخال التربية البيئية، كمادة من المواد الدراسية، فى مراحل التعليم المختلفة.

والله ولى التوفيق .

تفسير القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين، فكان العرب يفهمونه، ويدركون أحكامه وتشريعاته، وأوامره ونواهيه، ويتسابقون إلى العمل بأحكامه قبل حفظ آياته، وكانت حاجة العرب إلى التفسير غير كبيرة، فهم يفهمون القرآن فى جملته، ويطبقون أحكامه، مستمتعين بحرارة العاطفة، وحب الإسلام والرغبة فى الثواب؛ مع وجود الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمامهم، وقد كان خلقه القرآن.

فهو يطبق أوامر القرآن تطبيقا عمليا أمامهم، فى الصلاة والحج والزكاة، والجهاد والبيع والشراء، وسائر صنوف العبادات والمعاملات.

وكان الصحابه إذا أشكل عليهم معنى آية من الآيات؛ لجئوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليوضح لهم معناها؛ وقد ورد فى صحيح البخارى مجلد كامل، من تفسير النبى (صلى الله عليه وسلم) لبعض آيات القرآن الكريم؛ فمن هذا التفسير ما يأتى :

١ - تفسير الظلم بأنه الشرك فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ الأنعام ٨٢ .

٢ - تفسير القوة بأنها الرمي فى قوله تعالى : ﴿ وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ الأنفال ٦٠.

ومن المفسرين من يرى أن الرمى له أهميته، خصوصا مع القناصة التى تختار الرتب الكبيرة، ومن ذلك رمى الأسلحة الرهيبة من الطائرات والصواريخ عابرة القارات .....

٣ - تفسير الكوثر بأنه نهر فى الجنة، كما رواه أحمد ومسلم.

٤ - تفسير الصلاة الوسطى بأنها صلاة العصر كما رواه الترمذى وابن حبان، فى قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ ﴾ البقرة ٢٣٨.

٥ - تفسير يوم الحج الأكبر بأنه يوم النحر، فى قوله تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ التوبة ٢.

والحق أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين الكثير من معانى القرآن، لكنه لم يفسر جميع القرآن؛ لأن من القرآن ما تعرفه العرب بلغاتها؛ فقصة يوسف فى سورة يوسف، وكذلك سورة الكهف ومريم وطه وأشباهها من السور، تكاد تكون واضحة المعنى؛ أو مفهومة فى جملتها.

وقد تكفل الله بحفظ كتابه، ومن هذا الحفظ تيسير فهمه؛ وتيسير بيان أحكامه من عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) إلى يومنا هذا، قال تعالى مخاطبا رسوله الكريم : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل٤٤.

٢ - التفسير فى عهد الصحابة :

كان القرآن الكريم هو المرجع الأول للمسلمين فى عهد الصحابة، يقرءونه فى صلاتهم، ويهدرون به فى غزوهم وقيام ليلهم، وكان الصحابة إذا لم يجدوا التفسير فى كتاب الله، ولا فى سنة رسول الله (ﷺ) رجعوا إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم، وساعدهم على ذلك أنهم عرب خلص؛ شاهدوا نزول الوحى، وعرفوا أسباب نزول الآيات، وما يتصل بها من ظروف وملابسات، تعين على فهم الآيات، وقد اشتهر بالتفسير من الصحابة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبدالله بن الزبير.

٣ - التفسير فى عهد التابعين :

لم يدون التفسير فى عهد الصحابة، لقرب العهد برسول الله (ﷺ)؛ ولقلة الاختلاف، والتمكن من الرجوع إلى الثقات ، فلما أنقضى عهد الصحابة أو كاد، وصار الأمر إلى تابعيهم انتشر الإسلام، واتسعت الأمصار، وحدثت الفتن واختلفت

الأراء وكثرت الفتاوى، فأخذوا فى تدوين الحديث والفقه وتفسير القرآن الكريم وعلومه.

وقد انقسمت جماعة المفسرين إلى ثلاث مدارس :

١ - مفسرو مكة : وهم تلاميذ عبدالله بن عباس.

٢ - مفسرو الكوفه : وهم تلاميذ عبدالله بن مسعود.

٣ - مفسرو المدينة : وهم أصحاب زيد بن أسلم العدوى.

وإذا قارنا بين التفسير فى عهد الصحابة والتفسير فى عهد التابعين خرجنا بالنتائج الآتية :

التفسير فى عهد الصحابة	التفسير فى عهد التابعين
١ - لم يفسر القرآن جميعه.	ظهرت تفاسير شاملة لأكثر آيات القرآن.
٢ - قلة الاختلاف فى التفسير.	زاد الخلاف.
٣ - الاكتفاء بالمعنى الإجمالى للآيات.	ظهر تفسير لكل آية ولكل لفظة.
٤ - قلة الخلاف المذهبى.	زاد الخلاف المذهبى.
٥ - لم يدون التفسير.	دون التفسير.
٦ - اتخذ التفسير شكل الحديث.	استقل التفسير فى كتب مستقلة.
٧ - قلة الرجوع إلى أهل الكتاب.	كثر الرجوع إلى أهل الكتاب.
٨ - قلة الإسرائيليات.	كثرة الإسرائيليات.

٤ - التفسير فى عهد تابعى التابعين :

فى هذا العهد اتجهت الهمم إلى جمع ما أثر فى التفسير عن رسول الله (ﷺ)، وعن صحابته وعن التابعين بدون تفرقة بين المدارس الثلاث التى امتازت فى عصر التابعين بروايات مخصوصة.

فدونوا علم التفسير فى الكتب الصغار والكبار، وصارت كتبهم أجمع للعلم من

الكتب السابقة؛ وقد ضاع أكثر هذه التفاسير، بيد أن مضمون ما فيها قد نقله إلينا محمد بن جرير الطبرى المتوفى ٣١٠ هـ.

٥ - تفسير الطبرى :

يعتبر تفسير الطبرى من أهم التفاسير التى جمعت بين المنقول والمعقول، قال السيوطى : (وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين).

ويقع تفسير ابن جرير الطبرى فى ثلاثين جزءا من الحجم الكبير، وقد كان هذا الكتاب من عهد قريب يكاد يعتبر مفقودا لا وجود له، ثم قدر له الظهور والتداول، فعثر على نسخة مخطوطة كاملة من هذا الكتاب، طبع عليها التفسير فى مطبعة بولاق فى القاهرة حوالى عام ١٩٠٠م؛ وطبع بعد ذلك طبعات متعددة.

٦ - التفسير النقلى والتفسير العقلى :

نشأ اتجاهان فى تفسير القرآن الكريم إلى يومنا هذا : هما التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى.

(أ) التفسير بالمأثور :

هو الذى يعتمد على صحيح النقول، من تفسير للقرآن بالقرآن، أو بالسنة الصحيحة؛ لأنها مبينة للقرآن ومفسرة له، أو بما روى عن الصحابة؛ لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين؛ لأنهم تلقوا ذلك غالبا عن الصحابة.

وأصحاب هذا التفسير تحرجوا من القول فى التفسير بالرأى. قال عبدالله ابن عمر (لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول فى التفسير، منهم سالم ابن عبدالله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع).

وقال الشعبى : ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت : القرآن، والروح، والرأى.

وأمثال هؤلاء حملوا على المفسرين بالرأى؛ ورووا حديث (من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ).

(ب) التفسير بالرأى :

أصحاب هذا التفسير لم يجدوا بأسا ولا حرجا من تفسير القرآن باجتهادهم، معتمدين على درايتهم باللغة وأساليبها، وما يتصل بذلك من العلم بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، واعتمدوا على الأمور الآتية :

١ - أنزل الله تعالى كتابه للتدبر والتفقه والتعلم والمعرفة، وحثنا على التفهم والاستنباط، واستخدام العقل والفكر، وآيات القرآن حافلة بالدعوة إلى استخدام العقل والفكر والفؤاد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ النساء ٨٣. ولو صح ما ذهب إليه الفريق الأول لم يعلم شىء من الاستنباط، ولما فهم الأكثر من كتاب الله.

٢ - إذا صح الحديث فتأويله : من قال فى القرآن بمجرد رأيه فقد أخطأ.

وذلك مثل أصحاب البدع والأهواء الذين ينزلون الآيات على نحلتهم ومذاهبهم، مع أن القرآن إمام يحتكم إليه، وهو أصل أصول الشريعة وكلى أوامرها قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ النور ٥١.

مناقشة

لا غنى لنا عن الاعتماد على التفسير بالمأثور، عندما نجد حديثا صحيحا، أو أثرا يعتمد عليه، فإذا لم نجد من التفسير المأثور ما يصح الاعماد عليه، عندئذ نلجأ إلى التفسير بالرأى بشرط أن يكون المفسر جامعا لأدوات التفسير.

٧ - شروط المفسر:

ذكر العلماء للمفسر شروطا نجملها فيما يلى :

١ - صحة الاعتقاد، أى أن تكون عقيدة المفسر صحيحة فى الإيمان الصادق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٢ - التجرد عن الهوى، وعن التعصب للمذاهب الزائغة.

٣ - أن يبدأ أولا- بتفسير القرآن بالقرآن فما أجمل فى موضع فإنه قد فصل فى موضع آخر، وما اختصر منه فى مكان فإنه قد بسط فى مكان آخر.

٤ - أن يطلب التفسير من السنة فإنها شارحة للقرآن موضحة له، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه» يعنى السنة.

٥ - إذا لم يجد التفسير فى السنة رجع إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزول القرآن، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح والعمل الصالح.

٦ - ويمكن أن يستأنس بأقوال التابعين، فقد استأنس بأقوالهم كثير من الأئمة، ومن علماء التابعين بالتفسير مجاهد بن جبر. وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبى رباح، والحسن البصرى، وسعيد بن المسيب، وقتادة، والضحاك.

٧ - معرفة اللغة العربية وآدابها وتاريخها، وفنون معارفها كالنحو والصرف والبلاغة والبيان؛ حتى يمكنه تذوق القرآن، وإدراك جمال سبكه وإعجازه؛ وبيان فصاحته وبلاغته؛ فقد نزل القرآن بلسان عربى مبين.

٨ - العلم بأصول العلوم المتصلة بالقرآن كعلم التجويد وعلم التوحيد، وعلم أصول الفقه، وعلوم التفسير، وعلوم القرآن وخصوصا ما يتصل منها بالتفسير، مثل : المكى والمدنى، وأسباب النزول، وفواتح السور.

٩ - إخلاص النية لله تعالى والبعد عن الرياء والسمعة، ولزوم التواضع وآداب العالم والمتعلم مع حسن الخلق والأناة والروية، وحسن الإعداد وطريقة الأداء.

أنواع التفاسير

نشأت حول القرآن الكريم دراسات متعددة:فالنحو كان لحفظ اللسان من الخطأ فى كتاب الله، والبلاغة والبيان؛ لدراسة بلاغة القرآن وجمال أسلوبه وبيان نواحى الإعجاز فيه؛ والتجويد والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته؛ والتفسير لبيان معانيه والكشف عن مراميه؛ والفقه لاستنباط أحكامه؛ والأصول لبيان قواعد تشريعه العام، وطريقة الاستنباط منه؛ وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد، وأسلوبه فى الاستدلال عليها.

وقل مثل هذا فى التاريخ الذى يشتغل به المتخصصون؛ لبيان تاريخ الأمم التى ذكرت فى القرآن فى مثل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ يوسف ٣.

وهكذا علوم الفلك والنجوم، والطب وعلوم الحيوان والنبات، وغير ذلك من العلوم.

وتبعا لهذه الأنحاء المختلفة فى نظر المسلمين إلى القرآن واشتغالهم به؛ ترى التفاسير ذات ألوان متعددة: فمنها ما يغلب عليه تطبيق قواعد النحو وبيان إعراب الكلمات، وذلك: كالزجَّاج، والواحدى فى البسيط، وأبى حيان فى البحر المحيط.

ومنها ما يغلب عليه بيان نواحى البلاغة والإعجاز، مثل: تفسير الكشاف للزمخشرى، ومنها ما يغلب عليه تقرير الأدلة للفروع الفقهية واستنباط الأحكام والتشريع، مثل: تفسير أحكام القرآن للجصاص، وتفسير القرطبى.

ومنها ما يعنى بالعلوم العقلية والفلسفية والرد على الشبهات؛ وذلك كالفخر الرازى فى تفسيره الكبير مفاتيح الغيب.

ومنها ما يعنى بالتاريخ وأخبار الأمم السابقة، مثل: تفسير الثعالبى، والخازن.

ومنها ما يعنى بالعقائد والملل، والنحل، وذلك: مثل تفسير الرمانى، والجبائى، والقاضى عبدالجبار، والزمخشرى من المعتزلة، وملامحسن الكاشى، والطبرسى، وتفسير الميزان، وغيرها من تفاسير الإمامية الاثنى عشرية.

ومنها ما يعنى بالتصوف والترغيب والترهيب، مثل: تفسير ابن عربى، وتفسير أبى عبدالرحمن السلمى؛ ومنها ما يعنى بالنواحى العلمية والعقلية مثل :

الجواهر فى تفسير القرآن الحكيم، للشيخ طنطاوى جوهرى. ومنها مايعنى ببيان هداية القرآن الحكيم مثل : تفسير المنار للشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا، وتفسير فى ظلال القرآن الكريم للأستاذ سيد قطب، وتفسير العشرة الأجزاء الأولى من القرآن الكريم للأستاذ محمود شلتوت. وتفسير المراغى للأستاذ أحمد مصطفى المراغى. وجواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل تأليف سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى.

والله ولى التوفيق.

البيت المسلم

أولادنا

أولادنا هم أكبادنا تمشى على الأرض، ومحبة الأولاد والعطف عليهم فطرة إلهية، ونعمة ربانية قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ الرعد ٣٨.

والعطف على الأولاد، وحسن رعايتهم، وإكرامهم فيه نوع من تكافل الأجيال، فالأب والأم يقدمان الدعم والرعاية للحمل والوليد والفطيم والناشئ والفتى والشاب؛ ثم يرد هذا الجميل إليهم فى كبرهم وشيخوختهم كما أمر القرآن الكريم والسنة المطهرة قال تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ الإسراء ٢٣، والملاحظ أن الوصية وردت كثيرا موجهة إلى الأبناء وقليلا موجهة إلى الآباء.

ذلك أن حنو الوالدين على أبنائهم فطرة، كالبذرة التى تقدم كل ما فيها للنبات الذى ينبت منها، فإذا هى وقشة.

وقد حفلت كتب التربية الإسلامية، بتوجيهات متعددة؛ لرعاية الأطفال وتوجيههم، وحسن رعايتهم، فالطفل شاشة بيضاء يستطيع الوالدان أن يرسما فيها سائر القيم والآداب والأخلاق وأنواع السلوك، كما ورد فى الحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو يمجسانه؛ أو ينصرانه) رواه البخارى.

حقوق الأبناء على الآباء

واجبات الأبناء على الآباء كثيرة، فنحن حين ننجب ذرية تنتسب إلى أمة عربية إسلامية، تزيد تعدادها وتحسب عليها، ونأمل ألا تكون كثرة غير مفيدة، بل ينبغى أن يكون كل مسلم على ثغرة من ثغور الإسلام، يتولى حراستها، والدفاع عنها قولا وعملا، وسلوكا ونهجا.

لذلك نحرص كثيرا على تأثيث البيت المسلم، بالأثاث المادى والمعنوى، وأن يكون البيت المسلم محضنا صالحا للذرية، ورعاية الأبناء والبنات، والزوجة هى التى تبعث فى البيت الحياة والحركة، وتبث فيه الروح والنماء.

اختيار الزوجة :

الزوجة شريكة الحياة، ورفيقة العمر، ورئيسة البيت وعماد نظامه ومبعث سعادته، فإذا كانت صالحة أقامته على نظام وطيد، وبثت فيه روح الخير وملأته بأسباب السعادة، وعنيت بتربية أولادها، فبثت فيهم كل خلق حميد، وعودتهم كل عادة حسنة، وجنبتهم سيئ الأخلاق وقبيح العادات، وإذا كانت فاسدة بذرت فى البيت بذور الفساد، وزودت أبناءها للحياة بأسوأ زاد، فكان لزاما أن يعنى الزوج باختيار زوجه. قال (صلى الله عليه وسلم): (تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء) [1] . وامتن أبو الأسود الدؤلى على بنيه؛ باختياره أمهم عفيفة كريمة الخلق، إذ قال لهم : لقد أحسنت إليكم صغارا وكبارا، وقبل أن تولدوا، قالوا : كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها. وأنشد الرياشى فى هذا المعنى:

وأول إحسانى إليكم تخيرى لماجدة الأعراق باد عفافها

ومن أهم ما ينبغى أن يراعى فى الزوجة ما يأتى :

١ - أن تكون من الصالحات ذوات الدين والخلق؛ لتكون أمينة عفيفة حسنة العشرة، فعن أبى هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «تنكح المرأة لأربع : لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين والخلق؛ تربت يداك» [2].

٢ - والمراد بذات الدين: صاحبة السلوك الحسن، والأخلاق الكريمة، والخلال الطيبة، التى تحافظ على نفسها، وبيتها، وأسرتها، وتتمتع بالمثل العليا، والعفة والمروءة، ومكارم الأخلاق.

---

(١) فتح البارى.

(٢) متفق عليه، وأورده الغزالى فى الإحياء فى كتاب آداب النكاح (ص ٧١٨).

فالدين جماع المكارم، وأساس الفضائل.

قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة:

لا أنانة، ولا منانة، ولا حنانة، ولاتنكحوا: حداقة، ولا براقة، ولا شداقة.

أما الأنانة: فهى التى تكثر الأنين والتشكى، وتعصب رأسها كل ساعة؛ فنكاح المراضة، أو نكاح المتمارضة لا خير فيه.

والمنانة: التى تمن على زوجها، فتقول : فعلت لأجلك كذا وكذا...

والحنانة: التى تحن إلى زوج آخر، أو ولدها من زوج آخر، وهذا أيضا مما يجب اجتنابه.

والحداقة: التى ترمى إلى كل شىء بحدقتها، فتشتهيه؛ وتكلف الزوج شراءه.

والبراقة: التى تضيع النهار فى تصقيل وجهها وتزيينه؛ ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع.

والشداقة: المتشدقة الكثيرة الكلام، ومنه قوله (عليه الصلاة والسلام) : «إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين» (١).

٣ - ينبغى اختيار الزوجة من أصل طيب، ومعدن كريم، وأسرة معروفة بحسن السمعة والأخلاق الفاضلة. روى البخارى فى صحيحه أن رسول (الله صلى الله عليه وسلم) قال : «الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا».

وليس المراد بالأسرة الكريمة : الثراء والغنى والوجاهة، إنما المراد حسن السيرة والتمسك بالفضائل والبعد عن الشبهات والمحرمات.

قال (صلى الله عليه وسلم) : «تزوجوا فى الحِجْر الصالح فإن العرق دساس» (٢). وعن أنس أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : « من أراد

---

(١) رواه أبو داود، والترمذى وحسنه، وانظر الإحياء للغزالى.

(٢) أصول التشريع الإسلامى للأستاذ على حسب الله ص٨ نقلا عن الإحياء للغزالى جـ ٢ ص٢٨.

أن يلقى الله طاهرا مطهر؛ فليتزوج الحرائر» [1]. وعن أبى هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : «خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش؛ أحناه [2] على ولد فى صغره، وأرعاه على زوج فى ذات يده» [3].

وروى أن أكثم بن صيفى قال لأولاده : (يا بنى، لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة للشرف).

النسل والذرية

أ - الثمرة الطبيعية للزواج ، هى النسل والذرية والأولاد، والولد نعمة امتن الله بها علينا فى كتابه الكريم.

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ سورة النحل/٧٢.

والتصاق الأم بالحمل وبالرضاع وبالرعاية أظهر وأوضح، قال تعالى :

﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ سورة لقمان / ١٤.

وقال (سبحانه) : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ سورة الأحقاف / ١٥.

كما وصى القرآن برعاية الوالدين، والاعتراف لهما بالجميل، وخصوصا فى مرحلة الكبر والشيخوخة فقال (سبحانه) : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ سورة الإسراء / ٢٣ - ٢٤.

---

(١) الترغيب والترهيب جـ٣ ص٥.

(٢) كثيرة الحنو على الأطفال.

(٣) ذات يده: ماله (فتح البارى ٩/٩٩).

ب - وقد حث الإسلام على أن يحتفى بالمولود، وأن يبشر به والداه ويهنأ به، وشرع العقيقة، وهى ذبح شاة؛ شكرا لله على ولادة المولود.

قال تعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ آل عمران / ٣٩ .

ولما ولدت مارية القبطية إبراهيم، خرجت سلمى - قابلتها - إلى زوجها أبى رافع فأخبرته بذلك، فجاء أبو رافع إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) فبشره فأهدى إليه هدية على بشارته [1].

ولقد أبطل الإسلام عادات الجاهلية فى التفرقة بين البشارة بالذكر والبشارة بالأنثى.

ج - وحث الإسلام على حسن تسمية المولود، لما للاسم الجميل من آثار نفسية وتربوية كثيرة ومتنوعة، فهو يدخل السرور والغبطة على نفس المسمى، ويدخل الفخر والراحة على نفس أبويه وخاصته، روى أبو داود وابن حبان عن أبى الدرداء أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم».

وروى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : «أحب الأسماء إلى الله: عبدالله وعبدالرحمن».

وكره النبى (صلى الله عليه وسلم) التسمية بالأسماء الصعبة والمعانى المكروهة، مثل: حرب، وحزن، ولهب، ونيران، ومرة، وكلب. وقد حرم الإسلام بعض الأسماء، مثل: ملك الملوك، أو سلطان السلاطين، أو شاهنشاه.

وقد روى الشيخان أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «إن أخنع اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك».

---

(١) تحفة المودود فى أحكام المولود، لابن قيم الجوزية، ص ٦١.

وكذلك التسمية بأسماء الله مثل: عزيز، ورحيم، وجبار، وكذلك سيد الناس، وسيد الكل، وسيد ولد آدم؛ لأن ذلك ليس لأحد إلا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقد كان رسول الله (عليه الصلاة والسلام) يغير الأسماء القبيحة فى أصحابه: فغير اسم عاصية إلى جميلة، وحرب إلى سلم، وحزن إلى سهل، والعاص إلى عبدالله، وغراب إلى مسلم [1].

د - ومن أحكام المولود ذبح عقيقة عنه: وهى شاة تذبح للمولود؛ تيمنا بولادته، وشكرا لله على نعمه ، وإطعاما للفقراء والمساكين، ورغبة فى أن يحفظه الله من السوء.

روى البخارى أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «مع الغلام عقيقة فأهرقوا دما؛ وأميطوا عنه الأذى».

وروى أصحاب السنن أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «كل غلام رهين بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه».

وروى أبو داود أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عق عن الحسن والحسين كبشا.

هـ - ومن مظاهر الفرح بالمولود الجديد: حلق رأسه فى اليوم السابع من ولادته، والتصدق على الفقراء بزنة شعره فضة أو ذهبا، ففى الحديث الشريف عن على (رضى الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر فاطمة فقال: «زنى شعر الحسين وتصدقى بوزنه فضة، وأعط القابلة من العقيقة». وفى الموطأ: وزنت فاطمة شعر الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بوزن ذلك فضة.

و - ومن حقوق الطفل على والديه إثبات نسبه منهما؛ حفظا له من الضياع والمذلة، وثبوت نسبه آية من آيات القدرة الإلهية قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ سورة الفرقان/٥٤ .

(١) صحيح مسلم، وتحفة المودود. والترغيب والترهيب ١٣٩/٤.

وثبوت النسب حق يثبت للطفل بمجرد ولادته، من غير حاجة إلى إجراءات من أى نوع، فوجود الزوجية يكفى فى إثبات أن الوليد ينتسب إلى أبويه، قال (صلى الله عليه وسلم) : «الولد للفراش وللعاهر الحَجَر» (١).

ونظرا لأهمية الانتساب الحقيقى إلى الأسرة، وضرورة الاندماج الأسرى عن هذا الطريق، أنكر الإسلام نظام التبنى، الذى كان معمولا به فى الجاهلية، ولا يزال كذلك فى كثير من تشريعات العالم الغربى، فحرَّمه الإسلام نظرا لما يؤدى إليه من اختلاط الأنساب، وإفساد مقومات الأسرة.

قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ سورة الأحزاب /٤ .

وقال (سبحانه) : ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ﴾ سورة الأحزاب /٥ .

وفى مقابل ذلك شدد الإسلام النكير على من ينتسب لغير أبيه - وهو يعلم -، وعلى من ينكر نسب ولده -وهو يعرف -.

ز - ومن المسؤوليات المشتركة فى هذا الصدد : رضاعة الطفل، فهى تجب على أبويه ديانة وقضاء بالإجماع ، على الأم بالفعل، وعلى الأب بالنفقة، والأجرة لها، أو لغيرها من المرضعات، وقد أفاض العلم الحديث فى بيان أهمية رضاعة الأم، وأن هذه الرضاعة لا تغنى عنها الوسائل الصناعية فى الرضاع، مهما تعددت أشكالها وأساليبها.

وجملة القول أن كل أمر يخص الوليد فى مراحله المتقدمة، هو من المسؤوليات المشتركة على الزوج والزوجة، وقد سن الإسلام فى ذلك أرشد السنن، وأهدى السبل، احتفاء بالنسب، وتكريما له، وتعظيما لشأنه.

وقد ادعى بعض المستشرقين أن القرآن لم يهتم بتربية الأطفال ورعايتهم

---

(١) أخرجه الجماعة إلا أبو داود.

وتأديبهم، وينبغى أن نعرف أن الوحى كان ينزل ليبنى الفرد المسلم والأسرة المسلمة، وكان سلوك الرسول العملى وتوجيهاته لأصحابه، هى المحضن الطبيعى الذى نشأ فيه أطفال الصحابة، وقد نشأ هؤلاء الأطفال حول القرآن والسنة وعمل الصحابة وسلوك المجتمع، وامتصوا من المجتمع حولهم أهداف الإسلام وآدابه.

ولم تكن التربية كلاما منفصلا عن السلوك، بل كانت وحيا يطبق، وقرآنا يتحرك، وسنة تنفذ. فالمستشرقون يقيسون نمط التربية الإسلامية على أنماط أخرى من التربية - وهو قياس مع الفارق- لأن لكل نوع من أنواع التربية فلسفة معينة، ولا يصح أن نقايس بين نمط للتربية فى القرن العشرين، ونمط فى القرن السابع الميلادى، مع اختلاف المناخ والعصر، ومع هذا ففى القرآن والسنة والتراث الإسلامى، أدب متكامل لنشأة الأطفال ورعايتهم وتربيتهم، وقد سجل ذلك فى كتب التربية الإسلامية، مثل: رياضة الأطفال، والغلمان، وتعليمهم، وهو ضمن موسوعة كبيرة كتبها أبو حامد الغزالى بعنوان: إحياء علوم الدين.

ولابن خلدون كتاب فى رياضة الأطفال وتربيتهم، ومثل ذلك لسحنون،وفى كتب الفقه نجد فصولا وفقرات عن ولادة الصبى وتربيته وكيفية تعليمه، وتدريبه على الصلاة والصيام والزكاة والحج.. وفى تسوية الصفوف فى صلاة الجماعة يصف الرجال ثم الصبيان ثم النساء.

العناية بتربية البنات

كانت العرب كأكثر الناس يكرهون البنات، وقد شنع القرآن على هذه العادة وبين أن الرزق من عند الله، وأن الله يرزق البنت كما يرزق أباها، وربما رزق الأب من أجل وليدة عنده، وتوالت الأحاديث الصحيحة توجه المسلمين إلى رعاية الذرية وتحث على إكرام البنات وتربيتهن وتأديبهن، والمساهمة فى تزويجهن، والإشراف على شؤونهن، وتحمل مسئوليتهن، وإليك طائفة من هذه الأحاديث النبوية الكريمة:

١ - روى البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة قالت: «دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندى شيئا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها

فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبى (صلى الله عليه وسلم) علينا فأخبرته، فقال: من ابتلى من هذه البنات بشىء فأحسن إليهن كن له سترا من النار» وفى لفظ «من ابتلى بشىء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار».

٢ - وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت: «جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة؛ لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التى كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبنى شأنها فذكرت الذى صنعت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار».

٣ - وفى صحيح مسلم عن آنس (رضى الله عنه) عن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو - وضم أصابعه - أى معا». وفى لفظ الترمذى «من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين» وأشار بإصبعيه. ولابن حبان فى صحيحه ولفظه قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من عال ابنتين أو ثلاثا أو أختين أو ثلاثا، حتى يبلغن أو يموت عنهن، كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين» وأشار بأصبعه السبابة والتى تليها.

٤ - روى ابن ماجة بإسناد صحيح، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال صحيح الإسناد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «ما من مسلم له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صحبهما إلا أدخلتاه الجنة».

٥ - روى الطبرانى عن عوف بن مالك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «ما من مسلم يكون له ثلاث بنات، فينفق عليهن حتى يبلغن أو يمتن، إلا كن له حجابا من النار» فقالت له امرأة : أو بنتان؟ قال «أو بنتان» وللحديث شواهد كثيرة.

وروى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن

واتقى الله فيهن؛ فله الجنة» ورواه أبو داود بلفظ «فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة»، ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه.

وفى رواية للترمذى قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «لا يكون لأحدكم ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فيحسن إليهن إلا دخل الجنة».

تربية الأبناء وتعليمهم

تربية الأطفال والصبيان

الطفولة أمل المستقبل وصناعة الغد، وتمثل دورا مهماً من أدوار الحياة، ويتأثر الطفل بوالديه وإخوته والمحيطين به.

وقد أمر الإسلام بحسن اختيار الأم، لأن الطفل يتأثر بها تأثرا بالغا، وفى الحديث : (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس).

وقد تحدث القرآن عن تكوين الجنين فى بطن أمه، وبين أثر القدرة المبدعة فى خلق الحياة.

والطفل يحمل خصائص الأبوين النفسية والعصبية، والجسدية والخلقية، ويمكث الجنين فى بطن أمه تسعة أشهر يمر بمراحل مختلفة حتى يكتمل خلقه، ثم يبدأ رحلته فى الحياة مزودا بالسمع والبصر والاستعداد للنطق والحركة، ويتدرج فى النمو من طفل، إلى صبى، إلى شاب، إلى رجل، ثم يعود كهلا، فشيخا، وهكذا تنتهى رحلة الحياة.

وقد أشارت آيات كثيرة إلى هذا المعنى، منها قوله تعالى فى سورة الحج : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ الحج ٥ .

ونجد هذا المعنى فى سورة المؤمنون الآيات ١٢ - ١٤، وفى سورة الإنفطار الآيات ٦ - ٨، وفى سورة النحل الآية ٧٨، وفى سورة البلد الآيات ٨ - ١٠ وفى آيات أخرى.

ومن حق الوليد على أبيه أن يحسن اسمه وأن يحسن اختيار أمه، وأن يؤذن فى أذنه اليمنى عند ولادته، ويقيم الصلاة فى اليسرى؛ ليكون أول ما يستقر فى سمعه تكبير الله، والشهادة له بالوحدانية، ولمحمد بالرسالة، ومن أدب الإسلام أن يذبح الأب عن ابنه عقيقة، وهى شاة مكتملة، والأولى أن يذبح شاتين عن الذكر، وشاة عن الأنثى.

ومن هدى القرآن ألا يكثر فرحه بالذكر، وحزنه بالأنثى، فليس المهم نوع المولود وإنما المهم هو كيفية تربيته.

بل حثت السنة على إكرام الأنثى وتعليمها وتأديبها، لتكون لأبيها حجابا من النار ميمنة وميسرة.

ولفلاسفة الإسلام آراء سديدة فى رياضة الصبيان وتأديبهم وتهذيبهم، وأهمية هذه الآراء أنها كانت سابقة لغيرها، بل كانت نورا هاديا فى الشرق، فى وقت كان الغرب يعيش فى ظلام العصور الوسطى.

صحيح أن شئون الطفولة كانت بسيطة، ولكنها كانت كافية للرعاية والعناية فى ذلك العهد.

لأن الإسلام دين الفطرة ويكفى، أن يحفظ الطفل سورا محدودة؛ ليستقر فى قلبه الإيمان بالله واليقين بالآخرة، فسورة الفاتحة اشتملت على صفات الله، وذكر اليوم الآخر، وعبادة الله والاستعانة به، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، وسورة الإخلاص تستغرق سطرا واحدا فى المصحف وقد جمعت صفات الله فى إيجاز وإعجاز:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

التربية عند الغزالى

من علماء التربية المسلمين حجة الإسلام أبو حامد محمد الغزالى، وقد ولد سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفى سنة ٥٠٥ هـ (١٠٥٨م - ١١١١م).

وقد نشأ بطوس ثم سافر إلى نيسابور، ثم رحل إلى بغداد، وناظر العلماء والحكماء، وعهد إليه بالتدريس بالمدرسة النظامية.

ثم زهد فى الدنيا، وانقطع للتأليف والعبادة فى دمشق، ومن أحسن كتبه إحياء علوم الدين : وهو أربعةأجزاء.

وللغزالى آراء نافعة فى تربية الأطفال والصبيان، وواجبات الآباء والمعلمين، وقد كتب فصلا فى كتاب إحياء علوم الدين عنوانه:

(الطريق فى رياضة الصبيان فى أول نشأتهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم) [١].

وتتلخص آراء الغزالى فيما يلى :

١ - التربية من أهم الأمور، فصفحة الصبى بيضاء ناصعة، والصبى يكتسب من أبويه بالوراثة والمحاكاة.

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه، أو ينصرانه؛ أو يمجسانه)، والطفولة من أهم أدوار الحياة، وصناعتها صناعة المستقبل، وبناء الشباب النافع والرجولة الفاضلة.

٢ - صيانة الطفل من قرناء السوء، وشغل فراغه بعمل نافع، وتشجيعه على ممارسة الرياضة؛ والتعود على الخشونة.

٣ - تعليمه القرآن والحديث وأخبار السلف الصالح، وتعويده على الأخلاق الكريمة.

(١) إحياء علوم الدين، ربع المهلكات ج ٨ ص ١٤٧٤ مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، وهو فصل نفيس فى التربية استغرق أربع صفحات من القطع الكبير من ص ١٤٧٤ - ١٤٧٨.

٤ - مدحه والثناء عليه كلما أحسن، ومؤاخذته على الإساءة، وينبغى أن يقتصد الأب فى العتاب واللوم، وأن يعامل ابنه بعطف وحزم، ويجتهد فى تفهيمه الأسباب ولا يكتفى بالأوامر والنواهى مجردة عن أسبابها.

٥ - تعويده التواضع وحب الأقران، وعدم التكبر عليهم، وعدم المباهاة بالمال أو العقار، أو اللعب والممتلكات.

٦ - تعويده الزهد فى الدنيا، وعدم الطمع فى أشياء الآخرين، ويغرس فى قلبه أن السعادة منحة إلهية، لا ترتبط بالغنى أو الفقر، وإن الغنى الحقيقى هو التحلى بالخلق الكريم، والفقر الحقيقى هو التجرد من الأخلاق والقيم.

٧ - تعويده الآداب العامة فى الجلوس، والأكل والمذاكرة، وقلة الكلام وعدم الحلف، واحترام الكبير وتوقير المعلم والوالدين.

٨ - الصبر إذا ضربه المعلم، فذلك دأب الشجعان والرجال، وعلى الآباء والمعلمين أن يستخدموا الرفق والحكمة، وأن يهمتوا بشخصية التلميذ وتنمية مواهبه.

٩ - تعويد الصبى على أدب الإسلام فى العبادات والمعاملات، والتزام الحلال والبعد عن الحرام، والتخلق بالطهارة، والإخلاص، والفضائل، وتجنب السرقة، والخيانة، والكذب، والفحش، وغيرها من الرذائل.

١٠- العناية بالرياضة البدنية واللعب والحركة والتربية الصحية والألعاب الحرة التى يرتاح إليها الأطفال بفطرتهم ويقدمون عليها برغبتهم، وتشجيعهم على الألعاب الرياضية المنظمة، كالسباحة والجرى والتجديف؛ كى تنمو أعضاء الصبيان، وتقوى أجسامهم.

١١ - السماح للطفل باللعب الجميل الخفيف؛ ليروح عن نفسه تعب الدراسة وإرهاق المذاكرة، فنعم لهو البال المكدود.

والغزالى فى هذا الرأى قد سبق علماء وفلاسفة التربية الحديثة فى القرن العشرين.

التربية عند ابن خلدون

يمكن أن نوجز آراء ابن خلدون [1] فى التربية فيما يأتى :

١ - ضرورة إلمام المربى بفن التدريس والتربية والتعليم، حتى ينمى فى الطفل ملكة الإبداع «ومن أهم ما يحتاج إليه فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة والعمل على تحصيل الملكة التى هى صناعة التعليم».

فالحفظ وحشو الذهن بالمعلومات ليس كافياً. وتنمية المواهب وتشجيع التلميذ على البحث والاستنباط من أهم الأسباب فى تكوين الشخصية، وحمل التلاميذ على التفكير مع مراعاة استعدادهم.

يقول ابن خلدون : (إن مدة الدراسة فى بلاد المغرب تصل إلى ست عشرة سنة، ومع ذلك لم يحصل الناشئون على المهارة فى العلم وكسب الملكة فيه؛ بسبب عناية مدارسهم بالحفظ دون سواه، وهذا بعكس النظام التربوى فى المدارس التونسية، فمدة الدراسة لا تزيد على خمس سنوات، ومع ذلك يحصل الناشئون على الملكة فى العلم، بسبب اهتمام المدرسين بالبحث والمناظرة).

٢ - ينبغى أن يراعى فى التدريس التدرج والتكرار، أو الإجمال فى البدء ثم التفصيل فى المراحل التالية :

وابن خلدون يتفق مع التربية الحديثة فى ضرورة الاستعدادات والمواهب الفطرية فى التدريس، ثم يعود المدرس مرة ثانية إلى الموضوع في مرحلة تالية فيرفع الناشئ فى التلقين مرتبة أعلى من الأولى، باستيفاء الشرح والبيان، والخروج

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن خلدون ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ وتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٣٣٢م - ١٤٠٦م) وعمره ٧٦ سنة.

نشأ ابن خلدون بين أسرة عريقة في الشرف والرياسة، اشتغل كثير من أفرادها بالعلم والسياسة.

وقد حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين. ثم درس العلوم العقلية والنقلية، ونبغ في كل ما تعلمه، ثم اشتغل بالسياسة وتعرض بسببها لكثير من المكائد، فتركها وتفرغ للعلوم ورحل إلى القاهرة وانقطع للتأليف والتدريس بالأزهر حتى مات، وله مؤلفات كثيرة منها مقدمة ابن خلدون، وقد نالت شهرة عظيمة، ويعتبر ابن خلدون من أفذاذ العلماء وقد تميز بعقليته الناضجة، وعبقريته الفذة وقد سبق عصره بوضع أسس لعلم التاريخ والاجتماع والتربية، وبيان الطريقة المثلى فى التأليف والكتابة المنهجية.

من الإجمال إلى التفصيل، وهذا التكرار يفيد الناشئ ويناسب نموه العقلى. فنبدأ بتعليم الأطفال أهم القواعد وأسهلها، ثم ننتقل إلى ما هو أصعب بالتدريج.

٣ - الانتفاع بوسائل الإيضاح والرحلات فى تبسيط الدروس. ويحث ابن خلدون على استخدام الأمثلة الحسية فى تفهيم التلاميذ، لأن التلميذ فى البداية ضعيف الفهم، والأمثلة الحسية تكون عونا صادقا على فهم ما يلقى عليه، كما يحث على الرحلة فى طلب العلم؛ لأنها تفتح أمام الناشئين كثيرا من أبواب المعرفة.

٤ - ألا يؤتى بالغايات فى البدايات.

ومعنى ذلك ألا نقدم إلى الناشىء التعريفات والقوانين الكلية فى أول عهده بالدرس، بل الواجب الابتداء بالأمثلة الكافية التى تساعد فى فهم القواعد والتعريفات.

٥ - تجنب المختصرات فى التعليم.

يرى ابن خلدون أن من العوامل التى تقف عقبة فى سبيل التعليم اختصار الكتب وعمل الملخصات. لأن هذه الملخصات، لا تشجع على التبحر فى العلم، ولا تنمى فى الإنسان مواهب الفهم والتفكير، بل تساعده على الحفظ والاستظهار.

٦ - عدم مطالبة التلاميذ باستيعاب ما كتب فى كل علم، ويكفى أن يعرف شيئا عن كل شىء، وعندما يتخصص فإنه سيعرف كل شىء عن شىء.

٧ - استعمال الشفقة فى معاملة الأطفال وتهذيبهم.

(واستعمال الشدة مع التلاميذ مضرة بهم جسميا وخلقيا واجتماعيا ووجدانيا) [1].

وقد نصح ابن خلدون المعلمين والآباء والأمهات ألا يستبدوا فى التعليم والتهذيب والتربية والتأديب، ورسم لهم منهجا قويما؛ لتأديب الصغار، وطريقة

---

(١) ارجع إلى مقدمة ابن خلدون: (فصل فى أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم).

معاملتهم. استمده من وصية الرشيد لمؤدب ولده، قال ابن خلدون: ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين [1] فقال:

(يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة، وطاعته لك واجبة، فكن بحيث وضعك أمير المؤمنين.

أقرئه القرآن. وعرفه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته، وخذه بتعظيم مشايخ بنى هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجلس القواد إذا حضروا مجلسه.

ولا تمرَّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تحزنه فتميت ذهنه.

ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإنْ أباهما فمليك بالشدة والغلظة).

٨ - **القدوة الحسنة :**

الأطفال - فى رأى ابن خلدون - يتأثرون بالتقليد والمحاكاة، والمثل العليا التى يرونها، أكثر مما يتأثرون بالنصح والإرشاد، وقد اقتبس ابن خلدون رأيه مما كتبه عمرو بن عتبة إلى أحد المعلمين لولده حيث قال:

«ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيه فيكرهوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه. روِّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر منى لك، فقد اتكلت على كفاية منك».

٩ - تقوية الصلة بين الأساتذة والتلاميذ، فى المدرسة وخارجها، حتى تتهيأ الفرص الواسعة للتلاميذ، كى يحتكوا بأساتذتهم عن قرب، ويتصلوا بهم، وينتفعوا بأخلاقهم، وينقلوا عنهم علومهم وآراءهم وتجاربهم فى الحياة.

(١) المرجع السابق.

تعليم الأبناء

أول آية من كتاب الله كانت دعوة إلى القراءة والتعلم، ومدح القرآن العلم والعلماء، وورد مثل ذلك فى السنة المطهرة، وقد أصبح العلم سلاحا عمليا فى هذه الحياة، وأصبح هناك تسابق علمى كبير بين الدول.

والتعليم واجب على الأبوين ما دام ذلك فى وسعهما، قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ الطلاق ٧.

بل إن هناك دراسات متقدمة ينبغى أن يجيدها الأبناء؛ ليكونوا رجالا صالحين.

قال ابن خلدون: (الغرض من التربية الإسلامية هو: إعداد رجال يستطيعون أن يعيشوا عيشا جيدا)، وقد بين الزرنوجى وجوب تكاتف البيت والمدرسة فى رعاية التلميذ، فقال: (يحتاج فى التعليم إلى جد الثلاثة: المتعلم، والأستاذ، والأب).

وجاء فى رسالة ابن عبدون: (والتعليم صناعة تحتاج إلى معرفة ودربة،ولطف وتأنيس، حتى يرتاض ويقبل التعليم). وقد دعا ابن خلدون فى مقدمته إلى اختيار المعلمين ممن لهم خبرة، بفن التدريس، وطرق التربية، وسياسة الطفل، ومعرفة أنجح الطرق فى التعليم والتهذيب [1].

ومن حقوق الأبناء على الآباء، الحب والرعاية، والرأفة والرحمة، والعطاء المتتابع، وتقديم أنبل المشاعر، وأفضل الأسس والمبادئ، وبذلك نجد ذرية صالحة، وأبناء يعرفون السلوك الأمثل، والآداب الرفيعة، ومكارم الأخلاق.

نحن فى حاجة إلى عناية الأبوين بالمنزل، وأن يعود إلى البيت المسلم النور الإلهى، والدفء والحب، والحنان والرعاية، وكل المعانى النبيلة.

وبهذا يعود للأمة التماسك والتآلف، والرحمة والقوة والتعاون، فالمجتمع مجموعة من البيوت والأسر، وإذا نجحت التربية والرعاية للأبناء نجح المجتمع كله، وأصبح يدا واحدة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٣٠٢ - ٣٠٩.

الجن والسحر والحسد

الجنّ والسحر والحسد

الجنُّ عالم موجود، نؤمن بوجوده، وفى القرآن الكريم سورة تسمى سورة الجن تبدأ بقوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . . ﴾ سورة الجن.

والجن منهم الصالح ومنهم العاصى، والجن لا تعلم الغيب، وقد سخرها الله لسليمان (عليه السلام)، فلما مات سليمان - وهو متكئ على عصاه -، استمرت الجن فى أعمال السخرة إلى أن تقدمت نملة، أو أرضة فأكلت من أسفل العصا فخر سليمان واقعا، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ سورة سبأ ١٤

وعندما سخر سليمان الجن، عرض عليه عفريت من الجن أن يأتيه بعرش بلقيس قبل أن يقوم من مجلسه، وكانت الجن تعمل لسليمان المحاريب، والتماثيل، والقدور، والقصاع الكبيرة، والأوانى المختلفة، وهناك جن مردة متمردون على الطاعة فكان نبى الله سليمان يعاقبهم بالحبس، وبالعذاب الأليم. قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ سورة سبأ ١٢.

وقد تحدث القرآن الكريم عن الإنسان باستفاضة وتحدث عن الجن حديثا محدودا، ومن الخير لنا أن نقصر الحديث فى هذا الموضوع ولا نطيل الكلام فيه؛ لأنه لا ينبنى عليه أثر عملى. وعلينا أن ننصرف للعمل وأداء الفرائض وترك المحرمات، وهناك أدعية دينية فى القرآن الكريم والسنة المطهرة تحفظ الإنسان من السحر والحسد، والأذى، ونظرة العين المؤذية؛ ومن هذه الأمور ما يأتى :

١ - قراءة آية الكرسى.

٢ - قراءة خواتيم سورة البقرة من قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه... إلى آخر السورة).

٣ - قراءة (باسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله).

٤ - قراءة قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ، وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ سورة القلم ٥١ ,٥٢.

٥ - قراءة قل هو الله أحد، والمعوذتين.

٦ - إخراج صدقة.

٧ - اليقين الجازم بأن النافع هو الله، وأن الضار هو الله، وأن أحدا لا ينفع ولا يضر إلا بأذن الله، وهذه الأخيرة هى الصخرة الصمّاء التى تتكسر عليها سهام الحاسدين والمؤذين، فهم لا يؤذون إلا شخصا عقيدته هباء، ويقينه هواء، أما المؤمن بالله ربا، وخالقا، وقادرا، بيده الخلق والأمر، والمؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره، والمتوكل على الله، والواثق بالله، والجرىء الجسور القوى الإيمان؛ فهو فى حفظ الله (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).

أنصح المؤمن بالالتجاء إلى الله تعالى ومناجاته ومحبته، وأداء الفرائض، وترك المحرمات، ثم يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل والصدقة، وصلاة الليل ومحبة الله تعالى والرضا برزقه وعمله وأسرته وموقعه.

واليقين بأن رزقه مضمون سيستوفيه كاملا، وكذلك أجله، واليقين بأن تقوى الله وطاعته باب للسعادة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ سورة الطلاق ٢ , ٣.

ونسبة كبيرة، من الحالات التى تظنُّ أن بها سحرا أو ركبها جنى، وهم وخيالات، فالجنّى مخلوق عادى، والوهم والضعف والاعتقاد بأن له قدرة خارقة؛ تجعله يتطاول ويتوهم أنه مهمٌّ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ سورة الجن ٦.

وفى كتب التفسير كان العربىُّ إذا نزل ليبيت فى الصحراء قال : (أعوذ بسيد هذا الوادى من شر ما أجد) أى ألجأ وأتحصن برئيس هذا الوادى من الجن حتى لا يصيبنى مكروه - فهذا الأمر أوهم الجن أن لهم أهمية كبيرة، فأرهقوا هذا النوع من الإنس وهو الضعيف الجبان، خالى القلب من العقيدة والإيمان.

وهناك حالات محدودة، من أشخاص يتلبس بهم الجن أو يصنع بهم السحر، ولا مانع من الذهاب إلى شخص مؤمن ثقة، له معرفة بإنقاذ هذا الشخص مما به، ويظل هذا الأمر فى أضيق الحدود، لا يجوز أن يكون ظاهرة متكررة، يهرع إليها الناس، وتصبح حياتنا عرضه للقلق والاضطراب والهوس والاكتئاب والارتعاش والضعف.

أهيب بالآباء أن يترفقوا فى تربية أولادهم، وأن يعاملوهم بالحسنى والموعظة الحسنة حتى نجد شخصية سوية تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره.

الناس وصلت إلى القمر والكواكب الأخرى، وتقدمت بالعلوم والمعارف، وسلكت المناهج العلمية المتقدمة.

ونحن نعيش فى وهم العفاريت والجان والسحر، وهى موجودة ما فى ذلك شك، لكن علينا أن ننصرف إلى قراءة التعوذات مثل (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) أو (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين) أو آية الكرسى أو المعوذتين، أو نقول : (اللهم لا يأتى بالخير إلا أنت، ولا يذهب السوء إلا أنت، اللهم اكفنى السوء بما شئت وكيف شئت إنك على ما تشاء قدير، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الزواج الناجح بين البيت والمجتمع

الزواج الناجح بين البيت والمجتمع

الزواج الناجح :

ينجح الزواج إذا أدى إلى المودة والمحبة والتفاهم والتراحم والتآلف، إذا حرص كل زوج على إسعاد الآخر، إذا قام كل طرف بما يجب عليه، إذا تحول بيت الزواج إلى واحة وارفة الظلال، يؤثر كل طرف صاحبه على نفسه، ويتحمل فى سبيل ذلك المشقة ويقوم بما يجب عليه من تضحية وإيثار.

والزواج الناجح تختلف درجة نجاحه، كما نجد الطالب تختلف درجة نجاحه، بين مقبول، وجيد، وجيد جدا، وممتاز. وإذا كانت التقديرات الحديثة تعطى نقطة لمن ينجح بمقبول، ونقطتين لمن ينجح بتقدير جيد، وثلاث نقاط لمن ينجح بتقدير جيد جدا، وأربع نقاط لمن ينجح بتقدير ممتاز؛ فإنها لا تعطى نقاطا مطلقا للطالب الراسب.

والراسب فى ميزان الزواج الناجح، هو الذى يسارع إلى الطلاق، ولا يبذل جهدا مطلقا؛ لإنقاذ سفينة الزواج.

والطلاق كلمة صعبة تنفر منها الأسماع، ويهتز لها عرش الرحمن، لأن المطلِّق يهدم أسرة، ويشرِّد أبناء، ويدمر عشاً، وربما دمر نفسية الطرف الآخر؛ ولذلك حذر الشارع الحكيم من الطلاق، وسدَّ عليه المنافذ، وأمر المسلم أن يتحمل الطرف الآخر، وأن يصبر على عشرته، لعل الله أن يحول البُغض إلى حب، والخلاف إلى ائتلاف، قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ النساء ١٩.

وفى هذه الآية نجد القرآن الكريم يشكك الرجل فى وجدانه، ويدعوه إلى التريث والصبر، ويأمره بحسن العشرة، وملاطفة الزوجة، وتطييب خاطرها، وعدم التسرع فى فصم عرى الزوجية، فلعل البغيض أن يصبح حبيبا، وفى الأثر (الصبر بالتصبر، والحب بالتحبب).

نظرة خاطئة:

ينظر بعض الناس إلى الزواج على أنه متعة وفرح وسرور، وولائم وفراش، وزينة، فإذا بدأت الحياة الزوجية فى مجال الاستمرار وأداء الواجبات، أظهر السآمة والملل، ورغب فى الفرار من العش الذهبى، والتبرم بالحياة الزوجية.

وفى الحديث النبوى الشريف: (إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات فإذا تزوجتم فلا تطلقوا).

فالإنسان الذى يريد أن يذوق حلاوة الزوجة، ويأكل خيرها ويستمتع بما فيها، ثم يفكر فى الفرار منها، والبحث عن عروس جديدة، هو إنسان آثم أنانى، لم يعرف واجبات الدين ومراعاة الحرمات، وكذلك الزوجة المغرمة بالبحث عن الأزواج، وتذوق حلاواتهم، ثم التخلى عن تبعات الزواج، والفرار من المسئولية، هذه العينات الباحثة عن اللذة والمتعة، والتى لم تتعلم القيام بالواجبات والتبعات، واحترام الواجب والحرمات، هذه العينات لا يحبها الله ولا يرضى عنها، ولا يبارك عملها، وهذا معنى: (إن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات فإذا تزوجتم فلا تطلقوا).

الزَّوج أحلَّه الله، وجعله لزوجته دون سائر الرجال، وروح الدين تدعو إلى استمرارية الزواج، فهو آية من آيات الله، وتنفيذ لشرع الله ودينه، ويجب أن يحرص كل طرف على التضحية والقيام بالواجب، وتحمّل المسئولية التى ألقاها الشرع والمجتمع على عاتقه.

واجبات الزوج:

الزوج هو أساس الأسرة ودعامتها، وهو رب المنزل، وهو العماد الأساسىّ الذى يتعلق به جميع أفراد الأسرة، والزوج يحتاج إلى تربية أسرية من فترة الصغر وفترة النشأة والنمو، فيجب أن يربَّى على القيام بالواجب، وتحمل المسئولية، واحترام الطرف الآخر، والعناية بالنشء والذرية، إن الزواج الناجح تمتد جذوره إلى فترات مبكرة، ونجاح الزواج مراتب متعددة، فهناك زواج يسير بالمعايشة والاحتمال، وليس له طعم ولا مذاق، وهناك زواج فيه درجات من الحب والمودة، وهناك زواج فيه إيثار وحب وعاطفة وتضحية.

وأخيرا هناك الزواج الناجح نجاحا ممتازا، الذى يصل فيه الزوجان إلى قمة السعادة، ولا يفرّط أحدهما فى صاحبه، ويفديه بكل ما يملك.

وقد حفظ التاريخ نماذج من هذا الزواج، كما ورد فى هدى النبوة وأخبار السلف الصالح، وتحوَّلت سعادة الزوجة بزوجها، إلى وصف رائع يمدح خُلقه ومعاملته وتواضعه وهمته العالية، جاء فى صحيح البخارى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) أخبر عن زوجات راضيات عن أزواجهن، وزوجات غاضبات ساخطات قالت إحدى الزوجات الراضيات عن أزواجهن:

«زوجى المسُّ مسُّ أرنب، والريح ريح زرنب، وهو أغلبه والناس يغلب»، فهو ناعم الملمس، طيب الرائحة، متواضع فى المنزل، شجاع وقور خارج المنزل.

وقالت الثانية :

«زوجى كليل تهامة لاحرٌّ ، ولاقرٌّ ، ولا مخافة، ولا سآمة. وتهامة هى الحجاز، النهار فيها شديد الحرارة، والليل هواؤه عليل، فزوجها هنا لطيف كنسيم الليل فى الصيف، لا هو غضوب متهور، ولا هو بارد ثقيل، وهى لا تخاف منه ولا تنزعج، وفى نفس الوقت لا تسأم فى وجوده.

وقالت الثالثة :

زوجى إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد، فهو هادئ فى البيت أونائم كالفهد، وفى الخارج شجاع كالأسد، وهو كريم لا يكثر سؤال زوجته وملاحقتها.

كما ورد فى التاريخ سيرة زوجات غاضبات، أو قاتلات، أو مطلقات، وهى نماذج للزواج الفاشل، ولا أحب أن ألقى مسئولية طلاق المطلقة على الزوجة وحدها، إن طلاق مطلقة معناه علاقة غير سويّة من جهة الزوج، وأسرة الزوج، وأقارب الزوج، ومن جهة الزوجة، وأسرة الزوجة، وأقارب الزوجة.

إننا لا نعيش فى غابة، ولا فى صحراء، نحن نعيش فى المجتمع، نتفاعل به، ونتأثر به ،ونؤثر فيه، ونحن جزء منه، والزوجة - أمام المجتمع - تكون حساسة جدا

يجب على زوجها أن يرعى شعورها، ويحرص على إكرامها كما قال (صلى الله عليه وسلم): (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى)، وقال (عليه الصلاة والسلام): (استوصوا بالنساء خيرا؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما فى الضلع أعلاه وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها، فاستمتع بها وفيها عوج؛ واستوصوا بالنساء خيرا).

فقد زود الله المرأة بالعاطفة والحنان؛ حتى تتحمل آلام الحمل والرضاعة، وكفالة الأطفال، والقيام بشئونهم، فيجب أن نستوصى بها خيرا، وأن نقبل وصية النبى (صلى الله عليه وسلم) فى إكرام الزوجة، والحنوّ عليها، والإغضاء عن بعض هفواتها؛ لأنها بشر فيها ضعف البشر، ولو أردت امرأة كاملة تمام الكمال، بعيدة عن العوج، أو الهفوات، كسرتها، وكسرها طلاقها، فاستمتع بها وفيها عوج، ثم كرر النبى (صلى الله عليه وسلم) الوصية فقال: (واستوصوا بالنساء خيرا).

ونذكر من نماذج الزوجات الغاضبات الساخطات، وصف امرأة لزوجها بأنه أنانى «شره أكول، يأكل وحده ويشرب الإناء إلى آخره، ولا يعطى زوجته من الطعام أو الشراب، وهو لا يعرف المجاملة، ولا المؤنسة بل ينام بعد أن يلتف بلحافه بدون أن يهتم بشجون زوجته، أورد البخارى عن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخبرها عن إحدى عشرة امرأة اجتمعن فتعاقدن، وتعاهدن ألا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا.

فقالت إحداهن :

(زوجى إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن نام التف، ولا يولج الكف؛ ليعلم البثّ)، فهو أنانى شره لا يلبى مطالب زوجته، ولا يقوم بأداء الواجب عليه نحوها.

وقالت الثانية :

(زوجى غياياء، عياياء، طباقاء، كل داءٍ له داء، شجّك أو فلّك أو جمع كلاً لك).

وقد جمع زوجها عيوبا كثيرة، فهو أحمق فيه غىٌّ ، وليس فيه رشد وحكمة، وهو عيىٌّ عن النطق، بكىء اللسان أو عياياء، وهو قليل الحيلة والتصرف تنطبق

عليه الأمور فيحار ويقف محتارًا، أى (طباقاء) يغرق فى شبر ماء، وكل داء فى الدنيا فيه نوع منه، وأحيانا يضرب زوجته على رأسها فيشجها، وأحيانا يضربها على جسمها، وأحيانا يجمع لها الضرب على الرأس والجسم، وهو نموذج مذموم.

وقالت الثالثة:

(زوجى لا أبث خبره، إنى أخشى ألا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره).

فهى لا تريد أن تتكلم عن زوجها، حتى لا يصله الكلام، ولكن إن كان ولابد أن تقول: فهو عجر بجر، والعجر كبير البطن، والبجر كبير الظهر كالكُرة، تقول: فلان عجر بجر، أى ضعيف قليل الحيلة.

وكان من كلام عمر بن الخطاب (إلى الله أشكو عجرى وبجرى) أى ضعفى وقلة حيلتى.



وقد اكتفيت بثلاث نماذج من الزواج الناجح، وثلاث نماذج لزوجات غاضبات ساخطات، تشكو من أنانية الزوج، وسوء معاملته، وعدم قيامه بما يجب عليه نحو زوجته، وهذه النماذج الساخطة تذكِّر كل زوج يظلم زوجته فى بيته، ويظن أن أحدا لن يعلم بذلك الظلم، أنّه يخدع نفسه، فالمظلوم ينفّس عن نفسه، ويشكو ممن ظلمه، فاتق الله فى الزوجة الضعيفة، ولا تستأسد عليها، وإذا دعتك قوتك إلى ظلمها فتذكر قدرة الله عليك.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا	الظلم شيمته يفضى إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه	يدعو عليك وعين الله لم تنم

كلمة أخيرة :

إن سعادة الإنسان فى بيته لا تَعْدِلها سعادة، البيت هو الواحة الوارفة، هو السكن والأمان، ومكان الهدوء، ومحضن الذرية، وينبغى أن نحرص كثيرا على أن نعيد إلى بيوتنا الدفء والحنان والسعادة، وأن نكثر العطاء والتضحية، وأن نذكر كلمات الثناء والحب والتقدير، وأن نجعل البيت آية من آيات الله فى المودة والرحمة،

والسكن، والألفة، وأن يقوم الزوج بواجباته، التى أوجبها الله عليه، ومن هذه الواجبات:

(١) المهر: وهو الصداق، وهو رمز للصدق، وتحمل مسئولية الزواج، ولا يلزم أن يكون كثيرا فوق طاقة الإنسان، فخيرُ النساء ما خف مهرهن، وقصرت خطبتهن، وفى الأثر (أيسرهن مهورا أكثرهن بركة).

(٢) النفقة: فعلى الزوج أن ينفق على زوجته حسب حالته، فيطعمها مما يأكل، ويكسوها مما يلبس، ويعاملها معاملة حسنة، قال تعالى : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ... ﴾ سورة الطلاق ٧.

(٣) العشرة بالمعروف: وهى باب واسع يدخل فيه المروءة، والإنسانية، والصداقة، والأخوّة، والمحبة، والصفح، والعفو، وحسن الرعاية، وهو أمر مطلوب من الطرفين كليهما، وكل ما يطلبه الرجل من زوجته من مؤانسة، وطاعة، ومراعاة مزاج، وحسن معاملة، تطلبه المرأة من زوجها لقوله تعالى : (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) أى للمرأة حقوق وعليها واجبات، وكذلك للرجل حقوق وعليه واجبات، والرجل له درجة القوامة والرعاية.

ومن واجبات الزوجة ما يأتى :

(١) طاعة الزوج: واعتبار ذلك حقا واجبا قال تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ... ﴾ النساء ٣٤، وقال (صلى الله عليه وسلم): (ألا أدلكم على خير ما يكنز الرجل فى بيته؟ امرأة صالحة، إن غاب عنها زوجها حفظته، وإن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته).

فينبغى للمرأة الصالحة أن تبحث عما يرضى زوجها، وتدخل السرور على قلبه، فتهتم بمظهرها وزينتها، وعملها إذا كانت فى البيت، وتحفظ سر زوجها، وتطيع أمره وترعى بيته، وهى بذلك كنز أغلى من الذهب.

(٢) ومن واجب المرأة: ألا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه، وأن تلزم منزلها، وترعى أولادها وتحافظ على أسرتها، فإذا خرجت خرجت فى ثياب ساترة، ملتزمة بالعفاف والتصوّن وغض البصر، والاستقامة والأدب.

وبهذا يحترمها المجتمع، وتكون عنصرا ناجحا مثمرا يؤدّى إلى تماسك المجتمع وسلامته، فالأسرة السعيدة هى النواة الأولى للمجتمع السعيد.

ومن أسباب السعادة ما يأتى :

(١) الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وتنفيذ تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وهدى السلف الصالح.

(٢) القناعة والرضا، والعمل ، والمساهمة فى العمل أيًا كان هذا العمل قال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنَّا لا نضيع أجر من أحسن عملا). الكهف ٣٠.

(٣) التكيُّف مع الأسرة والأقارب والجيران، وزملاء العمل وزملاء الوطن، فالمؤمن سهل سمح يألف ويؤلف.

(٤) الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، حلوه ومره، مع الأخذ فى الأسباب، والاجتهاد والابتكار.

(٥) العناية بالأبناء والبنات، وحسن التربية، وأن يكون الأب والأم قدوة حسنة أمام الأطفال فى إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأداء الواجبات، والتحلّى بمكارم الأخلاق: كالصدق، والأدب، والسماحة، وحسن الخلق.

(٦) توجيه الأطفال إلى الاجتهاد والمثابرة، والصبر وطاعة المعلم، والتلطف فى معاملة الأقران والتلاميذ.

(٧) شكر الله على النعمة، شكراً عمليا ، واستخدام النعم فيما خلقها الله لأجله،

والله ولى التوفيق.

كيف نحمى شبابنا من الضياع

كيف نحمى شبابنا من الضياع

الشباب فى كل أمة عماد نهضتها، وفى كل نهضة سر قوتها، وحامل رايتها قال تعالى : (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)، ومن واجبنا نحو الشباب ما يأتى:

(١) العناية بالتربية؛ فالطفل يولد كالشاشة البيضاء، يستطيع والداه أن يُسطِّرا فى أعماقه ما يريدان.

روى البخارى فى صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه، أو ينصرانه) والطفولة من أهم أدوار الحياة، وصناعتها صناعة المستقبل وبناء الشباب النافع والرجولة الفاضلة.

(٢) صيانة الطفل من قرناء السوء، وشغل فراغه بعمل نافع وتشجيعه على ممارسة الرياضة والتعود على الخشونة.

(٣) تعليمه القرآن والحديث وأخبار السلف الصالح وتعويده الأخلاق الكريمة.

(٤) مدحه والثناء عليه كلما أحسن، ومؤاخذته على الإساءة.

(٥) تعويده التواضع وحبّ الأقران وعدم التكبر عليهم وعدم المباهاة بالمال والعقار أو اللعب والممتلكات.

(٦) تعويده الزهد فى الدنيا، وعدم الطمع فى أشياء الآخرين، ويغرس فى قلبه أن السعادة منحة إلهية لا ترتبط بالغنى أو الفَقْر، والغِنَى الحقيقىُّ : هو التحلى بالأخلاق الكريمة، والفقر الحقيقى: هو التجرد من الأخلاق والقيم.

(٧) تعويده الآداب العامة: فى الجلوس، والأكل، والمذاكرة، واحترام الكبير، وتوقير المعلم والوالدين.

(٨) الصبر إذا ضربه المعلم فذلك دأب الشجعان والرجال.

(٩) تعويد الصبى على أدب الإسلام: فى العبادات والمعاملات والتزام الحلال، والبعد عن الحرام، والتخلق بالأخلاق الفاضلة، وتجنب الخيانة، والكذب والفحش، والسرقة.

(١٠) العناية بالرياضة البدنية واللعب والحركة، والتربية الصحية، والألعاب الحرة.

وتشجيع الألعاب الرياضية المنظمة: كالسباحة، والجرى، والتجديف.

هذه مبادئ التربية السليمة للطفل والصبى، وبهذه التربية نضع لبنة الأساس السليم فى قلب الشاب؛ فينشأ نشأة فاضلة، وينهج نهجا سليما يؤازره القدوة الحسنة فى الأم والأب والمعلم ومرشد النادى، فالصبيان يتأثرون بالتقليد والمحاكاة، والمثل العليا التى يرونها، أكثر مما يتأثرون بالنصح والإرشاد.

كيف نحمى شبابنا من الانحراف :

هناك قاعدة سليمة تقول: الوقاية خير من العلاج، وتعتمد هذه النصيحة على بناء قاعدة قوية لدى الشباب، ورعاية الشباب فكريا وثقافيا بما يأتى :

(١) تنمية معارف الشباب ومداركهم، وتبصيرهم بمشاكل مجتمعهم، ودعوتهم للمساهمة فى العمل والإنتاج.

(٢) تنمية روح الإيمان بربهم ودينهم، وأنفسهم وأمتهم وتراثهم.

(٣) تنمية روح الولاء فيهم لوطنهم وأمتهم.

الشخصية الإسلامية

عنى الإسلام بتكوين شخصية المسلم والأخذ بيده ومساعدته على إزالة القنوط واليأس، ودفع عوامل الإحباط والمهانة فى نفسه.

فالإنسان بشر، وفى طبيعة البشر أن يخطئ، وخير الخطائين التوابون.

ينبغى أن نفتح باب الرجاء والأمل أمام الشباب، ونحثه على التوبة والاستقامة، وتأكيد العزم على البعد عن الذنوب،ومعرفة أن باب الله مفتوح بالليل

والنهار، وهو (سبحانه) يقول فى كتابه الكريم: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الزمر ٥٣.

إن التوبة فى الإسلام فكرة تربوية سليمة، تأخذ بيد الشباب إلى التطهر والإيمان، وتغالب فيه اليأس والقنوط، وتقضى على التوتر والإحباط، ويجب أن تكون التوبة نصوحا، أى صادقة فى العزم والتنفيذ. وبذلك يعود المؤمن إلى الطريق السليم.

وسطية الإسلام

الإسلام دين وسط لا غلوّ فيه ولا تفريط، فالله تعالى أباح لنا الطيبات من الرزق والتمتع بالحلال، ونهانا عن الغلوّ فى الدين، والنبى (صلى الله عليه وسلم) كان نموذجا للاعتدال والتكامل، فهو يصوم ويفطر، ويقوم الليل وينام، ويتزوج النساء، ويتمتع بالطيبات. قال (صلى الله عليه وسلم): (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا) وقال (صلى الله عليه وسلم): (إن أتقاكم لله أنا، وإن أعلمكم بالله أنا، وإن أخوفكم من الله أنا، وإنى أصوم وأفطر، وأقوم الليل وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى).

علاج المنحرف :

المنحرف إنسان فيه أصول الخير والشر، فينبغى أن تنمى فيه أصول الخير حتى تنتصر على نوازع الشر، والصراع بين الخير والشر ميدانه نفس الإنسان، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾. سورة الشمس ٧:١٠.

★ ★ ★

ينبغى أن نبعد المنحرف عن رفقاء السوء، وأقران المعصية؛ لأنهم قدوة سيئة، والشاب يتأثر بالقدوة والصحبة، ويحبّ أن يجاريهم، وأن يَظّهر معهم كَنَغَمة متسقة، تكوّن مجموعة متماثلة.

ولذلك ينبغى أن نحرص على وضع الشاب التائب فى رفقة صالحة مؤمنة، فذلك هو المحضن السليم، والرعاية الدافئة، التى تحمى الشاب وتجعله يتمتع بدفء الصحبة، وسعادة الحب والتآلف.

قال (صلى الله عليه وسلم): «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كبائع المسك ونافخ الكير، فبائع المسك إما أن يهديك، أويحذيك، أو تجد منه ريحا طيبا».

أى إما أن يعطيك هدية من المسك، أو تشترى منه المسك، وهذا معنى يحذيك، أو تشم منه ريحا طيبا.

أما نافخ الكير فأنت تجد منه ريحا خبيثا، وربما تطاير الشرر منه فيحرق ثيابك. قال تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار).

ينبغى أن يعرف الشباب طريق المسجد والصلاة، وتلاوة القرآن وذكر الله، ودراسة علوم الدين الإسلامى؛ لتملأ فراغ قلبه، وتقدم له زادا روحيا أصيلا.

ينبغى أن يهتم المسجد بأداء رسالته نحو الشباب، ويعود المسجد دارًا للعبادة، ومركزا ثقافيا، فيه المكتبة والإمام المعلّم، والموجه والمربى الذى يأخذ بيد الشباب، ويعاونه على التوبة والاستقامة، والتطهر والتعلم والتفكر، وينمّى فيه الرغبة فى القراءة، والاستزادة من العلم.

ينبغى أن تقوم المدرسة بواجبها، كمؤسسة ثقافية تربوية، فيها المعلم والموجه الاجتماعى، والأب الروحى، وتنظر المدرسة للشباب على أنهم رجال الغد، وأمل الأمة، وأعظم استثمار هو استثمار الشباب، وتوجيهه؛ ليكون عنصر بناء لا عنصر هدم، كما يقول الشاعر :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ويقول الآخر :

على الأخـــلاق خطوا الملك وابنوا   فليس وراءها للمـــــجـــد ركن

ويقول آخر :

وليس بعـــامـــر بنيـــان قـــوم   إذا أخـــلاقـــهم كـــانت خـــرابا

ينبغى أن تقوم وسائل الإعلام بواجبها نحو رعاية الشباب، وتقديم التوجيه: فى أسلوب القصة، والمسرحية، والمقالة، وسائر فنون الأجناس الأدبية.

ينبغى أن يعاون المجتمع الشباب على تأكيد ذاتهم، والقيام بعمل ما، والتمرن على الانخراط فى الجماعة، وتولى المسئوليات، وقد كان أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) والسابقون فى الخير معظمهم من الشباب.

وقد ظهر فى الهجرة من مكة إلى المدينة عمل الرجال كأبى بكر الصديق، وعمل الشباب كعلى بن أبى طالب، وعمل الفتيات كعائشة وأسماء، وعمل الصبيان كعبدالله بن أبى بكر.

كان جعفر بن أبى طالب عمره ٣٣ سنة، وكان يقود جيش العرب فى مؤتة، ويبادر إلى منازلة الروم، وهو يحمل لواء التوحيد، وقد قطعت يده اليمنى؛ فأمسك الراية باليسرى، فقطعت يده اليسرى؛ فاحتضن الراية بزنديه، وهو يضن براية الإسلام أن تسقط، وقد سماه الرسول جعفر الطيار؛ لأن الله أبدله من ذراعيه جناحين يطير بهما فى الجنة، بعد أن قتل شهيدا.

وكان أسامة بن زيد عمره ١٩ عاما، وقد عينه النبى (صلى الله عليه وسلم) أميرا على جيش المسلمين، الذى انطلق إلى مشارف الشام؛ ليقاتل الروم وهم يومئذ نصف الدنيا.

★★★

إن هناك حكمة تقول : الشيطان لا يلعب إلا بالعقل الفارغ، ينبغى أن يتوافر للشباب العمل والأمل، والإنتاج والمساهمة فى بناء الوطن، وأن نوفر للشباب وسائل العلاج الروحى والجسدى، وفى هدى القرآن وعلومه نور وشفاء ورحمة، قال تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين).

ينبغى أن نحمى الشباب من الخمر والميسر، والحشيش والأفيون، والأقراص المصنّعة، والهيروين وسائر المخدرات، التى تسحق الفكر والأعصاب.

إن أعداءنا يريدون هزيمة الشباب هنا فى بلادنا، ونحن على ثغرة من ثغور الإسلام، وكل شاب أمل من آمالنا، وجزء من نور عيوننا.

ينبغى أن نكون صادقين وحرصاء فى بيان أضرار المخدرات، فهى سم حقيقى بطىء، يستولى على الأعصاب، ومن أدْمن المخدرات؛ فإنه ينساق وراءها، إلى أن يفقد كل حَصانة، ويبيع أعز ما يملك فى سبيل الحصول على (شمّة) المكيفات، ويتحول من حر كريم، إلى عبد ذليل لهذه المكيفات.

ينبغى أن نذكّر الشباب بأن شبابه أمانة غالية فيجب أن يحافظ على هذه الأمانة، فيحذر الحفلات الماجنة؛ لأنها دليل الشر والله تعالى يقول : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ الإسراء ٣٢. الزنا يؤدى بالزانى إلى الفقر النفسى والخلقى والمالى، وهو سبيل الأمراض المستعصية، مثل الزهرى والإيدز - أى مرض نقص المناعة.

ينبغى أن نيسر الزواج الحلال، والمسكن الحلال، ونيسر المهور ونشجع بناء بيت الزوجية؛ لتنشأ علاقة كريمة بين زوج صالح، وزوجة صالحة.

قال (صلى الله عليه وسلم): (ألا أدلكم على خير ما يكنز الرجل فى بيته؟ امرأة صالحة، إن نظر إليها زوجها سرته، وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه).

★★★

ينبغى أن نفسح صدورنا وقلوبنا للشباب، فهم جزء منا وهم الأمل المرجى، وأن نقبل توبتهم، ونصفح عن هفواتهم، ونقبل اعتذارهم، ونأخذ بيدهم إلى الطريق السوىّ. علم سيدنا عمر أن رجلا من المسلمين تتابع فى الشراب، واستمر فى شرب الخمر فى بلاد الشام. فأمر بدواة وقلم، وكتب له كتابا فيه ما يأتى :

من عمر بن الخطاب إلى عبدالله فلان.

أما بعد: فإنى أذكّرك بقول الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ، تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾. غافر ١ - ٣.

فجعل الرجل يقرأ الآيات ويبكى، ثم أقلع عن الخمر، وتاب توبة نصوحا. فقال سيدنا عمر: (إذا أخطأ أحدكم فسدّدوه وقوّموه، ولا تكونوا عونا للشيطان عليه).

الدعوة إلى الإسلام فى الداخل والخارج

الدعوة إلى الإسلام فى الداخل والخارج

الإسلام رسالة الله إلى الخلق كافة ، وهو آخر الأديان ، وقد حمل الإسلام مقومات وجوده وانتشاره ، باشتماله على اليسر والسماحة، ومواءمته للفطرة البشرية،فهو دين عالمى ، ودعوته عامة للخلق أجمعين .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾. سبأ ٢٨.

والإسلام قد انتشر فى بلاد كثيرة بالقدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، لقد انتشر الإسلام فى الملايو والفيلبين عن طريق تجار مسلمين ، كانوا يعرضون تجارتهم ، ويعرضون دين الإسلام ، وكان سلوكهم العملى ، من ناحية الأمانة والاستقامة ، والبعد عن الربا والغش والخداع ، من أسباب تعلق الناس بهم ، واعتناقهم لدين الإسلام .

ونحن نلمس الآن آثار انتشار الإسلام فى البلاد الأوربية والأمريكية وغيرها، وهذه الرسالة ينبغى أن نقف وراءها بحكمة وأمانة ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل ١٢٥ .

التخطيط للدعوة

يبذل أعداء الإسلام جهدا منظما ، ويقومون بنشاط متعدد الأشكال ، ضد الإسلام والمسلمين . والدعوة إلى الإسلام فى حاجة إلى تخطيط وتنظيم ، وإعداد رجال على مستوى المسئولية ؛ فمجموعة للرد على مفتريات الأعداء ، ومجموعة للتبشير بالإسلام وبيان محاسنه .

إن الدعوة الإسلامية بحاجة إلى إنشاء جهاز مستنير ، جامع لأرباب الفكر ، والتخصصات الفنية المختلفة التى تتصل بالدعوة ، وتكون مهمته الأولى الدعوة إلى

الإسلام ، دعوة خالصة متجردة عن أى نزعة إقليمية، أو غرض خاص. وليت هذا الجهاز يكون واحداً للعالم الإسلامى كله ، ويختار له مقر رئيسى فى بلد ما ، ويكون لهذا الجهاز فروع وإدارات، وشخصيات تمثله فى الدول الإسلامية بقدر الإمكان .

وينبغى الاستفادة بالمراكز الإسلامية ، والجمعيات الإسلامية ، التى تقوم حاليا بالدعوة إلى عقائد الإسلام وعقد المناظرات مع غير المسلمين .

« ففى شبه القارة الهندية ٢٤ جمعية للدعوة إلى عقائد الإسلام، وعقد المناظرات مع غير المسلمين ، وطبع ونشر الكتب التى تردُّ على هجمات الجمعيات المعادية » .

ومن أهم هذه الجمعيات (أنجومان حامى إسلام) فى أجمير وجمعية (أنجو مات حمايت إسلام) فى لاهور .

وهناك إدارات للدعوة إلى الإسلام فى الداخل والخارج، فى عدد من البلاد الإسلامية، كمصر، والسعودية، والإمارات، وغيرها .

ثقافة الداعية إلى الإسلام

ينبغى أن يتزود الداعية إلى الإسلام بمهارات، وخبرات، ودراسات مناسبة لما يقوم به، ومن هذه الخبرات ما يأتى :

(١) التعمق فى معرفة القرآن والسنة وعلوم الشريعة ، والسيرة النبوية، والعبادات، والمعاملات، وغيرها من فروع الثقافة الإسلامية .

(٢) أن يجمع إلى العلم القديم معرفة بالعلوم الحديثة ، ومعرفة بالمجتمع وما يعج به من مشاكل .

(٣) أن يكون متمكنا من لغة القوم الذين يخاطبهم .

(٤) أن يكون خبيرا بأسلوب الدعوة والتوجيه ، فقد نصح النبى (صلى الله عليه وسلم) معاذا وزميله حين أرسلهما إلى اليمن قائلاً: (يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولاتختلفا) .

(٥) أن يكون على خلق كريم ، فالأخلاق سلاح فعال فى نجاح الدعوة ، وهى فى الوقت نفسه دعاية صامتة ، قد تُغنى عن الدعاية القولية . ومن أخلاق الداعية عدم الحرص على الدنيا ، والعفة والقناعة والصبر والإخلاص لله فى السر والعلن ، والاعتزاز بالإسلام دينا وسلوكا، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ فصلت ٣٣ .

ومن كلمات النبى (صلى الله عليه وسلم) لعمر: (أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا) .

(٦) أن يكون الداعية حسن الهيئة ، طيب المظهر ، جميل الهندام .

(٧) الداعية إمام وقائد : وهو قدوة أعلى ، فعليه أن يلتزم بما يدعو إليه ، وأن يحرص على هداية الناس ، وأن يجد سعادته فى مساعدة الآخرين ، يقول الشيخ محمد مصطفى المراغى :

« من لوازم الداعية أن يكون شجاعا صادقا ، قوىّ الإيمان بما يدعو إليه ، يرى فى الإقدام لذة، وحقا للنفس الخيِّرة ، ويؤديه؛ احتسابا لله لا على أنه مكلف به، يؤديه؛ للأجر وزيادة الدرجات والمرتبات ، ومن حق الداعية أن يكون بصيرا بالوسط الذى يعيش فيه ، خبيرا بأحوال النفوس ، واسع الحيلة فى التنقل من طريق إلى طريق ، يقصد الهداية المطلوبة من طريقها النافع » .

مقترحات لنشر الدعوة

مما يساعد على نشر الدعوة ويشد أزر الدعاة ما يأتى :

(١) استغلال كل الوسائل الممكنة للنشر ، فقد كان عصر صدر الإسلام يعتمد على الكلمة واللقاء المباشر ، واليوم نجد وسائل إعلام عديدة منها : الإذاعة، والتلفزيون، والصحافة، والسينما، والمسرح، والمجلات، والإعلانات، والدعايات المختلفة ، فعلى دعاة الإسلام أن يستغلوا كل فرصة مناسبة؛ للدعوة إليه فى

كافة وسائل الإعلام ، مع استخدام أسلوب العصر وطريقته ومنهجه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ... ﴾ إبراهيم ٤.

(٢) ينبغى أن تنشأ مراكز إسلامية للدعوة للإسلام ، وتعليم الدين واللغة: عن طريق التدريس، والمحاضرات، والندوات، والكتيبات، وغيرها .

(٣) التوسع فى إرسال البعوث إلى كافة أرجاء الدنيا ، بعد إعدادهم إعدادا سليما.

(٤) التوسل إلى تدبير الأموال اللازمة والخبراء بالدعوة للإسلام ، وياحبذا لو كان هناك صندوق عام يموَّل من كل الأقطار الإسلامية ، وياحبذا لو زيدت فى ميزانية كل دولة المبالغ المرصودة لهذا العمل الجليل .

(٥) من أهم ما يساعد على قبول الناس لدعوة الإسلام أن يكون العمل بالدين ومبادئه واقعا حيا فى المجتمع الإسلامى ، فالعمل بالدين أكبر دعاية له .

إن فى الناس فراغا روحيا وقلقا نفسيا فى هذه الأيام ، بعد كثرة الحروب وبعد الصراع الدموىّ الدامى ، وليس إلا الدين سكنا للنفس ، ويقينا للقلب ، وحصنا من الشدائد ، إن الإيمان يعنى نفسا مطمئنة ، وقلبا نقيا تقيا من الشرك؛ بريا لا كافرا ولا شقيا .

★★★

الرسول القائد

الرسول القائد

(أ) الرسول فى مكة :

تلقى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رسالة السماء ، وكلف بتبليغ الرسالة والدعوة إلى التوحيد ، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واتباع آداب السماء وتعاليمها ، وقد وقف أهل مكة فى وجه الدعوة الإسلامية ، ورفضوا الدخول فى الإسلام ، واشتد عنادهم وتكذيبهم ، فصبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) صبرًا طويلا ، وقاوم عروضهم، وقال كلمته الخالدة: (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى، والقمر فى يسارى، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته، حتى يظهره الله؛ أو تنفرد منى هذه السالفة) .

ولما اشتد الأذى بالمسلمين، سمح الرسول لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، واستمر تيار الهجرة إلى الحبشة متصلا حتى هاجر بعض المسلمين إلى الحبشة ثم عاد ، ثم هاجر مرة أخرى ، وهؤلاء يسمون أصحاب الهجرتين .

وكان الإسراء والمعراج قبيل الهجرة إلى المدينة المنورة، وهو معجزة الهية ، واصطفاءٌ من الله لرسوله ، وليصلّى إماما بالأنبياء، ويصعد به إلى السموات العلا، ويرى من آيات ربه الكبرى . كانت حياة مكة حياة جهاد ومصابرة ، تحمّل فيها المسلمون صنوف الأذى وألوان الاضطهاد ، والشدائد تصنع الرجال ، فإذا ثبت الإنسان فى المحنة ، وغالبها ولم يستسلم لها ، كان جديرا بالوصول إلى النصر والاستخلاف فى الأرض .

(ب) الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة :

هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة ، وبنى فيها المسجد النبوى الشريف ، وكان المسجد دارًا للعبادة ، وبرلمانا للشورى ، وساحة للقضاء ، ومدرسة لتدريس الفقه والعلم ، وملجأ للفقراء ، ومنتدى لتلقى الوفود والغرباء .

وخط الرسول (صلى الله عليه وسلم) شارعا رئيسيا من جبل سلع إلى المسجد ، وشارعا رئيسيا آخر من المسجد إلى قباء ، وأمر أن تبنى البيوت على جانبى الشارع، وحث على العمران، وشجع أهل البادية على الرحلة إلى المدينة المنورة ، وبذلك استكمل عمران المدينة ، وكانت تسمى يثرب ، فلما خطط الرسول شوارعها ، وأمر ببناء الدور فيها ، سميت مدينة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

واختار الرسول (صلى الله عليه وسلم) موضعا فى شرقى المدينة كان مغطى بالأعشاب والصخور ، ونبات برى يسمى الغرقد، فأمر بتسويته وتمهيده ، وأنشأ فيه مدفنا للمسلمين سمى ببقيع الغرقد .

وقد اجتهد فى تخطيط المدينة ، وشجع على غرس الأشجار والنخيل، وزراعة القمح والفاكهة ، والعناية بالحيوان وإطعامه والرفق به ، وكان يدعو إلى نظافة الثياب والمسكن والمسجد ، ويدعو المسلم إلى أن يكون نظيف الجسم مرتب الشعر حسن الهيئة .

المؤاخاة :

كان أهل المدينة قبل الإسلام فى حروب طاحنة بين الأوس والخزرج ، فدعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى التسامح، والمحبة، والمودة، وإصلاح ذات البين، وآخى بين الأنصار والأنصار - أى بين الأوس والخزرج - كما آخى بين المهاجرين والأنصار ، ونمَّى هذه الأخوة وبيَّن فضلها ، وقد بارك القرآن ذلك، وجعله فضلاً كبيراً ، قال تعالى :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال ٦٣.

الصحيفة :

عمَّر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المدينة ، وتضاعف سكان المدينة أيام الرسول أكثر من خمس مرات، كما قرر السمهودى، وغيره من المؤرخين .

ووقع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الصحيفة (أى دستور المدينة)، وتحدد الصحيفة واجبات الساكن فى المدينة ، وهى البر، والوفاء، ومعاونة المحتاج، والمدين، والمريض ، ومعاونة الجماعة فى الدفاع عن المدينة، وحمايتها ، وكل مجموعة قبلية من أهل المدينة مسئولة عن الأمن فى موطنها ، وعن حماية المدينة من ناحيتها ، والأمة كتلة واحدة (يد المسلمين واحدة) . وقد دخل اليهود فى ميثاق المدينة ، ووقّعوا على هذه الصحيفة، وحصلوا على حقوق الأمن، والمساهمة فى الدفاع عن المدينة .

ولم يكن فى المدينة جيش، ولا شرطة، ولا إداريون ولا موظفون ، ولاسجون، يوضع فيها من استحقت عليه عقوبة .

لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أيقظ ضمير الأمة ، فآمنت هذه الأمة وعملت وجاهدت وأخلصت إيمانها ، فكان كل فرد فى الأمة يقيم نظام الإسلام فى نفسه وأسرته ، وكل فرد مقاتل فى وقت الحرب، ثم يعود فى السلم إلى عمله ، وكل فرد ينفّذ الشرع؛ ولايحتاج إلى وازع من بشر .

الغزوات والسرايا :

تعددت الغزوات والسرايا فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، والغزوة معركة يقودها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بنفسه ، والسريَّة معركة يقودها أحد أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) ، وقد بلغت سراياه وغزواته قرابة خمسين غزوة وسرية ، خلال عشر سنوات من عمره الشريف فى المدينة ، أى أنه لم يكن يمضى شهران ، إلا وهناك غزوة أو سرية ، وكل غزوة أو سرية تحتاج إلى إعداد وتدريب ، وإدارة ، وتموين وإمداد ، وتحتاج بعد المعركة إلى رعاية القتلى والجرحى، ومواساة المصابين ، رعاية أسر الشهداء .

غزوة بدر الكبرى :

وقعت فى رمضان من العام الثانى للهجرة ، وقد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) يستعد لها ؛ ليلقن أهل مكة درسا قاسياً جزاء عنادهم وكفرهم؛ واضطهادهم للمسلمين .

وقد استشار النبى (صلى الله عليه وسلم) أصحابه قبل بدء المعركة؛ فتكلم المهاجرون، وأعلنوا استعدادهم للحرب فقال (صلى الله عليه وسلم): (أشيروا على أيها الناس) ، وكان يريد أن يعرف رأى الأنصار . فقال سعد بن معاذ: «لكأنك تريدنا يا رسول الله» ، قال: (نعم) .

فقال سعد: «يا رسول الله، آمنا بك وصدقناك، وأعطيناك على ذلك عهودنا، ومواثيقنا فامض يا رسول الله، لما أمرك الله ، فوالذى بعثك بالحق نبيا، لو استعرضت بنا هذا البحر إلى برك الغماد لخضناه ، ما تخلف منا رجل واحد ، وإنا لجلد فى الحرب، صبر عند اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك» .

ونلحظ هنا حسن مشورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه ، وأخذ رأيهم، فلما رأى استعدادهم للقتال قال: (هى الحرب)، وهنا يقول الواقدى: (فمن يومئذ عقد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الألوية وهى ثلاثة ، وأظهر السلاح ، وكان قد خرج من المدينة على غير لواء معقود) (جـ ١ / ٥٠) .

لقد ترك الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه اتخاذ القرار، وهى حكمة كبرى ينبغى الاقتداء بها تحقيقا لقوله تعالى :

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الشورى ٣٨.

وقوله تعالى :

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران ١٥٩.

اختيار الموقع :

نزل المشركون جهة بدر من ناحية اليمن ، وكان المشركون فى جيش كبير فيه ٩٥٠ رجلا، ومائة فرس ، و ٧٠٠ بعير ، ونزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الشمال من بدر ناحية تبوك ، وفى فجر السابع عشر من رمضان سنة ٢ هـ الموافق ١٣ من مارس سنة ٦٢٤ م عقد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مجلسه، وطلب إلى الناس أن يشيروا عليه فى المنزل (أى فى الموقف الذى يقفونه وفى خطة الحرب) .

فتقدم إليه الحباب بن المنذر - وهو أنصارى ذو رأى وبصر بشئون الحرب، وتكتيك المعركة - فقال: يا رسول الله، أهذا منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نختار موقعا سواه ، أم هو الرأى والمكيدة والحرب؟ قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): (بل هو الرأى والمكيدة والحرب) .

فقال الحباب : يا رسول الله، ليس هذا بمنزل ، ولكن انهض حتى تجعل الآبار كلها من وراء ظهرك، ثم اطمر كل بئر بها إلا بئرا واحدا، ثم احفر عليه حوضا، ونقاتل القوم ، ونشرب ولا يشربون، حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (قد أشرت بالرأى) ففعل ذلك. وعقب ذلك اختار المسلمون موقعا جديدا لجيشهم ، وغوروا جميع الآبار ، وأبقوا على بئر واحد بنوا بجواره حوضا ، ووضعوا فيه الآنية ، وحرصوا على ألا يصل إلى بئرهم أحد من المشركين .

فلما طلعت الشمس واشتد حرها ، اشتد العطش بالمشركين ، وكان لذلك أثر فى هزيمتهم .

وصف الرسول (صلى الله عليه وسلم) صفوف الجيش فاستقبل المغرب وجعل الشمس خلفه ، وأقبل المشركون فاستقبلوا الشمس وهكذا أخذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) المبادرة وأصبح هو الذى يوجه المعركة .

المبارزة :

بدأ قتال بدر بالمبارزة، فبرز ثلاثة من المشركين هم :

عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة بن ربيعة ، من بنى عبد شمس .

فخرج إليهم ثلاثة من صفوف المسلمين وهم : حمزة بن عبدالمطلب ، وعلى بن أبى طالب ، وعبيدة بن الحارث ؛ فقتل حمزة عتبة ، وقتل علىٌّ الوليد ، وكرا على شيبة بن ربيعة فقتلاه واحتملا عبيدة بن الحارث جريحا ثم مات شهيدا، ثم بدأ القتال بالصفوف، والتحم الجيشان، وحمى الوطيس، والرسول (صلى الله عليه وسلم) فى مكان مرتفع يدير المعركة، ويشرف عليها .

أبطال معركة بدر:

من أبطال معركة بدر: على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، وكان طوال المعركة كالأسد الضارى، لا يفرغ من عدو حتى يسرع إلى آخر . وقد بلغ عدد من قتلهم على؛ أو شارك فى قتلهم فى ذلك اليوم ٢٢ رجلا .

ويليه فى ذلك حمزة بن عبدالمطلب، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام من المهاجرين ، وأبو دجانة : وهو سماك بن خرشة من الأنصار، وهو صاحب العصابة الحمراء ، كان يعصب بها رأسه ويتمشى بين الصفين ثم يكر على الأعداء فيفعل بهم الأفاعيل .

ومن أبطال الأنصار: الحباب بن المنذر ، وسعد بن الربيع، وغيرهم .

نتائج معركة بدر:

انتصر المسلمون فى بدر انتصارا مؤزرا ، وقتلوا صناديد الشرك ورءوس الكفر، وكانت بدر ملحمة إسلامية ، تعاون فيها القائد، والمهاجرون، والأنصار، وسائر المسلمين ، وبارك الله هذه الجهود، وأنزل ملائكة السماء؛ تؤيد المؤمنين ، وتوهن عزم المشركين ، وبعد معركة بدر استعدت قبائل كثيرة للدخول فى الإسلام، وزحف كثير من الأعراب إلى المدينة ؛ ليعلنوا إسلامهم ويدخلوا فى هذا الدين الجديد . قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة آل عمران آية ١٢٣ .

وقد كانت بدر ضربة قاصمة للمشركين بمكة ، فقد فقد المشركون كثيراً من رجالهم، ورءوسهم المدبرة ، فى غزوة بدر ، ووقع منهم سبعون أسيرا، استولى عليهم المسلمون ، فمن كان منهم فقيرا أطلق المسلمون سراحه؛ ومن كان عنده خبرة بالقراءة والكتابة كان عليه أن يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .

أما أصحاب الأموال الأسرى فقد أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأن يكون فداء الواحد منهم أربعة آلاف درهم .

ولم يكن المهم أن سبعين من المشركين قد قتلوا ، أو أن سبعين منهم قد أسروا، وإنما الأهم من ذلك أن عظمة المشركين وقوتهم؛ قد دفنت فى بدر . وأن جانب المشركين قد اضمحل، وأصابه الذل والهوان .

وفى مقابل ذلك كان نصر المسلمين فى غزوة بدر سبيلا إلى تدعيم موقف الإسلام فى المدينة ، وانتشار المساجد الكبيرة ، وتماسك المسلمين وتعاونهم وتآزرهم، وانضمام عدد من القبائل إلى الإسلام ، كما استطاع الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن يستمر فى تأمين جانب المدينة المنورة ، وأن يتحالف مع القبائل المجاورة لها ، وأن يستمر فى توجيه المسلمين إلى الاستعداد للجهاد، والبذل، والعطاء، والتمسك بآداب الإسلام، وشرائعه وأحكامه ، حتى أصبح الإسلام فى المدينة المنورة القوة الجديدة ، والنور الجديد ، والفجر الجديد .

النهوض بخطبة الجمعه، والحديث الدينى، ولغة التأليف فى العلوم الإسلامية

النهوض بخطبة الجمعة ، والحديث الدينى ، ولغة التأليف فى العلوم الإسلامية

الحمد لله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفصح الناس بيانا ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

★★ اللغة العربية لغة القرآن ، وهى الرابطة التى تربط الأمة العربية ، والأمة الإسلامية.

★★ والعناية بها واجب دينى، وقومى، ورسالة للبقاء، والخلود .

★★ إن العناية بالشعر العربى، والثقافة واللغة ، والنحو؛ والنطق العربى السليم، وإخراج الحروف من مخارجها ، وتجميل النطق بالبيان السليم ، كل ذلك: واجب على المتخصصين والدارسين العرب ، وحين يتكلم إنسان فيأكل الحروف، ولا يتأنى فى النطق ولا يضغط على أواخر الحروف ، ولا يتأنق فى أداء كلامه؛ كل ذلك يجعل من العسير على السامع أن يسمع، أو يفهم؛ أو يدرك المقصود .

★★ بالنسبة إلى أى متحدث فالعناية باللغة والنطق؛ كمال وجمال، بل واجب ، أما بالنسبة إلى أئمة المساجد، وعلماء الدين، ورجال الأزهر ، ومدرسى الشريعة والتربية الإسلامية ، والمختصين فى الدراسات الإسلامية ، فهذا ألزم و أوجب. إمام المسجد وعلماء الدين ، ومدرسو التربية الإسلامية ، والعلوم الإسلامية مطالبون بما يأتى :

١ – العناية بالقرآن الكريم دراسة وحفظا وتفسيراً ، ومعرفة بلغة القرآن، وبيانه، وإعجازه، وتجويده ، وحسن نطقه، وشرحه .

وبذلك يكون لسانهم عربيًا فصيحاً مبيناً ، وفكرهم واضحاً ، ولسانهم معروفا. «قال تعالى ﴿ وما أَرْسَلْنَا من رَّسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ سورة إبراهيم».

٢ – معرفة الحديث النبوى الشريف ، مع دراسة فى علوم الحديث ، وأنواعه، ورجاله، وإسناده . ومع حفظ قدر كبير من الأحاديث النبوية الصحيحة، فالسنة مكملة للقرآن الكريم ، ومبينة له ، وموضحة لمبهمه ، ولا يمكن الاستغناء عن السنة ، لرجل يتحدث باسم الإسلام ؛ أو يتحدث فى شئون الدين ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ .. ﴾ النحل ٤٤ .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : (يوشك أن يأتى رجل شبعان متكئ على أريكته يقول : ما كان فى كتاب الله أخذناه ، وما كان فى غيره تركناه ، ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه) .

٣ – معرفة اللغة العربية فى النحو، والصرف، والعروض ، والأدب واللغة، والشعر والنثر، وتذوق البيان العربى ، وحفظ جانب من الشعر العربى ، والنثر والبيان، والقرآن والسنة ، وكلام البلغاء وخطب الخطباء ، ومقالات الكاتبين ، أى لابد من الإحاطة المتأنية بالمعارف المتعددة للغة العربية .

★★ حتى يكون الكلام واضحاً ومبيناً ، فالكلام من الكلام ، وعلماؤنا عندما تكلموا عن الاجتهاد فى الدين ، سموا المجتهد مستثمراً ؛ لأنه يجهد نفسه فى استثمار أحكام شرعية جديدة ، من أدلتها الأصلية ، وهى القرآن والسنة والاجتهاد، وأوجبوا على المجتهد أموراً من بينها ما يأتى .

أ – الإحاطة بالقرآن الكريم، وعلومه، وفنونه، وتفسيره ....

ب – الإحاطة بالسنة، وعلومها، ودرجاتها، وأسنادها ....

جـ – الإحاطة باللغة العربية، وفنونها، وآدابها ....

د – حصوله على الموهبة: وهى استعداد، وفطرة، وعقل ، وفهم واجتهاد وذكاء ، وعطاء إلهى يتبعه جهد وعمل ....

هـ – إخلاصه فى الدين ، وابتغاء وجه الله ، وألا يكون فى قلبه هوى أو بدعة....

علماء المساجد ، ورجال الأزهر الشريف

★★ للدين أثره فى النفوس ، والمنابر والمساجد تؤدى دوراً اجتماعيًا دينيًا تربويًا ، واللغة العربية كائن حى متطور ، وينبغى للعاقل أن يكون بصيرا بزمانه .

★★ وإن كثيراً من كتب الفقه والتفسير وعلوم القرآن ، والحديث والتشريع وأصول الفقه ، والسياسة الشرعية ، وغيرها من العلوم الإسلامية ، قد كتب فى العصور المتوسطة الإسلامية ، وأعنى بها عصور الانحدار والتقليد والجمود .

★★ ونجد فى العصر الحديث نهضة فى جوانب متعددة ، وفى كثير من شئون الحياة، وينبغى أن تكون هناك نهضة فى لغة أئمة المساجد ، ورجال الأزهر، وعلماء الدين، ومدرسى التربية الإسلامية والعلوم الدينية .

★★ ومن دعائم هذه النهضة اعتمادها على عناصر رئيسية من بينها ما يأتى :

١ - عنصر الفكر والمعرفة : فنحن فى زمن الكمبيوتر والشرائط الممغنطة ، والإذاعات المسموعة والمرئية، والمؤتمرات ، والندوات، والمطابع، والمسارح، والصحافة، والسينما ، وسائر وسائل الإعلام ، والدنيا صارت كقرية صغيرة ، تنتقل فيها الأفكار والمعلومات بسرعة كبيرة .

★★ ومن الواجب على إمام المسجد أن يقرأ ويبحث ويطلع ، ويذاكر القديم والحديث ، ويكوّن فكراً ورأياً وعلما ، ويطالع الناس فيعرض عقله عليهم ، وقد حضّر الموضوع ونظمه ورتبه وجوده .

٢ - كثيراً ما تحتاج الأفكار إلى ثوب جميل ، وأسلوب أنيق ، وترتيب وتنسيق ، وإخراج وإبداع ، ويساعد الإمام العالم فى ذلك ، الأسلوب والدراسة وحسن الإخراج ، لقد صدرت دراسات علمية عن نظام الخطبة والمقالة والحديث والدعوة ، ولقاء الجماهير ، فالخطبة مثلاً، تحتاج إلى الآتى :

أ - مقدمة مناسبة تفتح القلوب والأذهان .

ب - عرض للموضوع فى إيجاز .

جـ - سوق الأدلة من القرآن والسنة ، والتاريخ الإسلامى والواقع العملى .

د - ختام يلخص الموضوع ويضيف إليه أهم العناصر .

٣ - العلوم والمعارف يكمل بعضها بعضاً ، فإمام المسجد ورجال الأزهر ، ومدرسو التربية الإسلامية والعلوم الدينية ، فى أمس الحاجة إلى الدراسة فى علم النفس، وأصول التربية ، وعلوم الاجتماع، والفلسفة الإسلامية ، والمناظرة والجدل ، والأدب والتاريخ، ونظم العمران ، ووسائل الإعلام ، وفن القول والإلقاء، وبهذا يصبح إمام المسجد ورجل الدين ، دائرة معارف ، خبيراً بزمانه ، حسن القول ، بليل اللسان ، حسن الكلام ، ينتقل من فن إلى فن ، ويقدم للجمهور خلاصة علمه ، وأزاهير قوله ، فهو أشبه بالنحلة تأكل من جميع الثمرات ، وتخرج عسلاً شهيًا ، فيه شفاء للناس .

٤ - حُسْنُ الصورة ، وهيبة المنظر ، ونظافة الثياب ، وطيب الرائحة ، له أثره فى قبول القول واحترام المتحدث ، وقد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) إذا خرج إلى خطبة الجمعة تكحل ولبس جبة جميلة ، وخرج إلى الناس حسن المنظر طيب الرائحة ، ويقول النبى (صلى الله عليه وسلم): (ما على أحدكم أن يجعل للجمعة ثوباً أو ثوبين) .

٥ - إخراج الحروف من مخارجها ، والعناية بالصوت الجميل وفن الإلقاء ، وحفظ الشواهد من القرآن والسنة ، والشعر العربى والقول المأثور ، والقصص المبدع . والبيان الجميل الذى يأخذ بالألباب ويستولى على الفؤاد .

لكل مقام مقال (مراعاة مقتضى الحال):

نجد فى بعض كتب التفسير والفقه والنحو والأدب والفلسفة ، مماحكات لفظية ، وجدل كلامى ، وأفكار استطرادية، كتبت فى زمن سابق كان وقت الناس طويلاً ، يستسيغ مثل هذا الجدال والمناظرة ، والرد ، والرد على الردود ، إلى آخره....

وعندما يذهب الناس إلى المساجد لصلاة الجمعة يأملون أن يمكثوا فى المسجد نصف ساعة ، لذلك يجب على الخطيب أن يُحضِّر نفسه تحضيراً مكثفاً ، ويدرس موضوعاً واحداً له مقدمة ثم عرض ثم خاتمة وخلاصة ، وبذلك يخرج الناس وقد استفادوا فائدة كاملة ، فى موضوع معين ، وفى كل جمعة يحيطون بموضوع واحد ، ولا بأس أن يضيف إلى الخطبة الثانية رأيه فى أهم الأحداث التى تشغل الرأى العام ، مبيناً رأيه كخبير فى شئون الدين ، متجنباً إثارة المشاكل ، والتعصب لفرقة ضد أخرى ، فهو إمام وقدوة، ومثل أعلى فى سلوكه وقوله وفعله .

لغة التأليف

ينبغى أن تنهض لغة التأليف فى علوم الدين ، بنهوض اللغة العربية وآدابها ، لقد كان الأستاذ / سيد قطب أديباً بليغاً مخلصاً متأنياً . فلما كتب فى التفسير : (فى ظلال القرآن) جاء الكتاب كأنه قطعة من الأدب ، ولنا تحفظات على بعض أفكاره، التى غالى وتشدد فيها ، ومن واجبنا عرض علوم الدين الإسلامى بأسلوب العصر ، حتى يقرأ المثقف المسلم فى الفقه والتفسير والحديث ، بلغة دينيه، تسقيها لغة الأدب وجمال اللغة ، وحسن العرض وقوة الاستشهاد .

وبذلك يكسب المتدينون أرضاً ، ويحرزون نصراً ، ويقيمون هداية ، ويبلغون رسالة . رائدهم حسن العرض ، وجودة الأسلوب ، وقوة الحجة ، قال تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ سورة النحل ١٢٥ .

والله ولى التوفيق .

الباب الثانى

مناقشة هادئة

مناقشة هادئة

نشرت جريدة الأهرام بعددها الصادر الأربعاء ١٤/٨/١٩٩٦م الصفحه ١٩ مقالاً بقلم أ / أحمد عبد المعطى حجازى.

بعنوان : (ماذا تريد هذه الهيئات بالضبط؟)

حمل فيه على أئمة المساجد ورجال الأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية واتهمهم بما يأتى :

١ - تحاملهم على أصحاب الديانات الأخرى : المسيحيين واليهود.

٢ - عدم الدعوه إلى حب مصر وحب الوطن.

٣ - كراهية النساء وكراهية عمل المرأة، أو خروجها من المنزل.

وقد عملتُ إماماً وخطيباً ومدرساً بمسجد الإمام الشافعى قرابة عشر سنوات، وأنا أتعاطف مع هذه الفئة، وهى فئة مهضومة الحق، تحتاج إلى من يأخذ بيدها ويقيل عثرتها، ويهديها إلى السبيل الواضح، ومعالم الدين الحق.

ومن هذه المعالم الحقة ما يأتى :

١ - وحدة الرسالات

الإسلام دين الوحدة بين الديانات، فقد أوجب الإيمان بجميع الرسل والكتب، فالله تعالى هو الذى أرسل الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وهذه الكتب تحمل المعالم الأساسية للإيمان بالله وملائكتة وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وهى أشبه برئيس جمهورية؛ أو دولة، له محافظات متعددة، كل محافظة تشترك مع الأخرى فى احترام الوطن ورئيس الدولة، والعمل بالدستور، واحترام

القوانين، وقد توجد لبعض المحافظات (البحر الأحمر أو سيناء)، قوانين خاصة بها، وكذلك الرسالات السماوية كلها من عند الله تعالى وكلها تدعو إلى مكارم الأخلاق وتنظيم العبادات والمعاملات.

قال (صلى الله عليه وسلم): (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وقال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ البقرة ١٣٦.

وروى البخارى فى صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إنما مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة! فجعل الناس يقولون لو وضعت هذه اللبنة! فأنا هذه اللبنة، وأنا خاتم الرسل).

إن الأديان السماوية كلَّها من عند الله، تدعو إلى الإيمان بالله وتحث على مكارم الأخلاق وتدعو إلى التراحم والتعاطف والعمل والجد والاجتهاد، وتحارب الكسل وتحذر من الرذائل كالزنا والربا وشرب الخمر، والغيبة والنميمة والحسد والقتل وشهادة الزور ......

وبين الأديان السماوية رحم موصولة، وفى الحديث الشريف: (الأنبياء أخوات لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد).

وأبناء العلات هم أبناء الضرائر، أى أن الأب واحد للأنبياء، وإن اختلفت رسالتهم باختلاف زمانهم ومكانهم.

فقد حارب لوط المثلية الجنسية، وحارب شعيب تطفيف الكيل والميزان، وحارب المسيح عيسى (عليه السلام) الغلو فى المادية، وحث على القيم الروحية.

وكان الإسلام ديناً وسطاً يجمع بين حقوق الجسم وحقوق الروح، وهو الدين الخاتم، وكتابه القرآن مهيمن على الكتب السابقة، يبين صوابها، ويحذر مما حرف فيها.

ووسطيــة الإســلام وأمــتـه، هـى وسطيـة التـشــريع، واحـتـرام العـقل والرأى، والتيسير على الناس، ورفع الحرج، وفتح باب الاجتهاد.

فالنصوص الدينية محدودة، والحياة الدنيوية متجددة متطورة، فلابد من أن يتطور الفقه بما يوافق أصول الدين من جهة، وما يوافق مصالح الناس من جهة أخرى.

ولابد من أن تتطور اللغة والأسلوب وطريقة العرض؛ وإذا كان إمام المسجد متعصباً كان دليلاً على قلة العلم بل وشدة الجهل؛ لأن رجل الدين كلما اتسعت معارفه وعلومه ودراسته؛ زادت سماحته وتيسيره، واحترامه لعقائد الآخرين.

فالأقباط مواطنون معنا، يؤدّون واجبات الوطن، ومن الواجب أن نحسن معاملتهم، وأن نجاملهم فى أعيادهم، وأفراحهم وأتراحهم. قال تعالى : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة ٨.

بل إن الحوار بين الأديان لغة حضارية، والقرآن حافل بالحوار والمناقشة، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقد حاول إبراهيم الخليل هداية قومه عن طريق الحوار، حين رأى النجم فقال هذا ربى ، ثم رأى القمر فقال هذا ربى هذا أكبر، ثم رأى الشمس فاتجه إليها؛ لأنها أكبر مما سبق، ثم توجه إلى الله (تعالى) خالق النجم والقمر والشمس، وقال: النجم يغيب، والقمر يغيب، والشمس تغيب، والإله لا يغيب. ثم قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سورة الأنعام ٧٩.

يستحسن للإمام أن يتكلم عن الوحدانية، ويعمّق إيمان المسلمين وهذا يغنيه عن مهاجمة التثليث، يكفيه أن يشرح سورة الإخلاص، وأن يفسر هذه السورة، متحدثاً عن وحدانية الذات ووحدانية الصفات، ووحدانية الأفعال. راغباً فى وصل المؤمنين بالله، واحترام عقائد الآخرين.

قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾

إن القرآن الكريم تحدث عن المسيح، وعن مريم العذراء، وعن قصص بنى إسرائيل، حديثاً كريماً صادقاً مفيداً فى الدعوة إلى الأخوة بين الأنبياء، فالمؤمنون جميعاً فى خندق واحد، يتعاونون لترسيخ الإيمان والقيم والمبادئ السامية، والأخلاق والفضيلة.

ونحن مدعوون إلى تمكين المسيحى من عبادة ربه فى كنيسته، واليهودى من عبادة ربه فى صومعته، والدفاع عن أهل الأديان؛ حتى يتفرغوا لذكر الله وعبادته، فى أمان واطمئنان قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ سورة الحج ٤٠.

فالمذكور فى هذه الآية بيوت العبادة، والمؤمن مطالب بالمحافظة عليها تماماً، كما يحافظ على المساجد، يحافظ على الكنائس والمعابد والأديرة، وأماكن الصلوات للنصارى واليهود وغيرهم، ومن الواجب على الكهان والبطارقة والقسس، ورجال الدين المسيحى واليهودى والإسلامى، أن يتعهدوا شعوبهم، بالتوجيه والنصح والدعوة إلى المحبة والتآلف، والتراحم والتعاون، وهذه المعالم هى دعوة الأديان، وسلم الحضارة والترقى، وسبيل إلى وحدة الأمة، ووقوفها صفاً واحداً كالبنيان المرصوص؛ يشد بعضه بعضا.

إن التربية والتعليم من أهدافها إحداث قدر من التماسك بين أبناء الأمة، وهذا التماسك والتعاون والترابط والتكاتف هو سلم الرقى والحضارة والإبداع والتقدم.

وللأديان السماوية آثارها، فى الحث على مكارم الأخلاق والنهى عن الرذائل. وما نراه من شذوذ بعض الناس عن هذه القاعدة، هو شذوذ فردى نفعى إجرامى، يتخذ من الدين سلماً، ومطية للأهواء والنزوات. فكل مواطن معصوم الدم،

والعـرض، والمال، والنبى (صلى الله عليه وسلم) يقـول : (من ظلم معـاهداً كـان الله خصيمه دونى). وقال صلى الله عليه وسلم (ستفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً).

كانت هاجر زوج إبراهيم الخليل، وأم إسماعيل مصرية من صعيد مصر، وكانت مارية القبطية هدية من المقوقس رئيس مصر إلى النبى (صلى الله عليه وسلم)، وأنجب منها إبراهيم بن النبى (صلى الله عليه وسلم).

وقد حث الإسلام على حسن الجوار، وحسن المعاملة والعدل بين الناس جميعاً، فهم جميعاً سواسية كأسنان المشط، يتساوون أمام القانون وأمام القضاء.

وقد اشتكى قبطى مصرى إلى الخليفة عمر بن الخطاب، وأخبره أنه اشترك فى سباق الخيل بمصر، فسبقت فرسه فرس ابن حاكم مصر، فضربه ابن عمرو ابن العاص. فكتب الخليفة إلى عمرو بن العاص أن احضر ومعك ابنك، فحضر عمرو ابن العاص ومعه ابنه، فنادى الخليفة عمر: أين المصرى؟ قال هأنذا. فأعطاه الخليفة الدرّة وقال له : اضرب ابن الأكرمين. فضربه حتى اشتفى، ثم خلع العمامة عن رأس عمرو بن العاص، وقال للمصرى: اضرب أباه أيضاً، فإنه إنما ضربك بصولة أبيه، قال القبطى: ما ضربنى، وقد ضربت من ضربنى، فقال الخليفة عمر للقبطى : لو ضربته ما منعناك، ثم التفت الخليفة إلى عمرو وقال له : (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

٢ - حب الوطن

إن الوطن أمانة فى أعناقنا، ونحن فى أمس الحاجة إلى تعميق الروابط بين فئاته، ونحن فى أمس الحاجة إلى حب مصر، وأبناء مصر ، وسمعة مصر، ومستقبل مصر.

ولا يتم ذلك إلا بالتلاحم والتجانس بين أبنائها، فليذهب المسيحى إلى الكنيسة، وليذهب المسلم إلى المسجد، وليستمع المسيحى إلى عظة القسيس، وليستمع المسلم إلى عظة الإمام.

وليقرأ القسيس كثيراً، وليطلع الإمام طويلاً، وعند تضلع رجل الدين فى العلم، وتفوقه فى المعرفة، سيخرج للناس رحيقاً طيباً كالعسل الأبيض، فيه شفاء للناس.

إن حب الوطن من الإيمان، والدفاع عن الوطن جهاد، والموت فى الدفاع عنه شهادة، قال (صلى الله عليه وسلم): (من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون دمه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد). والوطن عرضنا، ودمنا، ومالنا، وأرضنا، وشرفنا.

لقد وقف الهلال والصليب معاً فى أحرج الأوقات، وفى تحرير الوطن، وفى كل أزمة حاول الأعداء فيها تفريق وحدة الأمة.

ينبغى أن يتغنى الإمام والقسيس بحب مصر، فهى الوطن، وهى الحمى، وهى السكن. ولا تعارض بين حب مصر، وبين حب العروبة، وبين حب الدين.

فنحن مصريون. نرى أن مصر كنانة الله فى أرضه، وهى حصن الإيمان والأديان، ونحن عرب حقاً، فالعروبة ليست الجنس العربى؛ بل كل من تكلم العربية فهو عربى.

نحن جزء من الأمة العربية فى ثقافتها ورسالتها ولغتها، فالعربية لغة القرآن والحديث الشريف، والفقة وتاريخ التشريع، وأصول الفقه، والأدب وتاريخ الأدب وفقه اللغة العربية والتاريخ. والإسلام دائرة أوسع تجمع العالم الإسلامى؛ مهما كان جنسه، أو لونه، أو وطنه.

فقد اتسع الإسلام فى نشأته، وضم سلمان الفارسى، وصهيباً الرومى، وبلالاً الحبشى، وعليًا القرشى.

وكان الجميع سواسية: فى الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وميادين العبادات، والمعاملات، وكان أسامة بن زيد مولى من الموالى، وكان مع ذلك قائد جيش اشترك فيه أجلاء الصحابة، وفتح الإسلام صدره للأرقاء، والأعاجم، والموالى، والصيارفة من اليهود والنصارى، وسائر الملل، فأخذ كل إنسان مكانته

بحسب خبرته وتفوقه، ولم يُظلَم إنسان بسبب دينه، أو قوميته أو نسبه، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ . ﴾ الحجرات ١٣. وقال (صلى الله عليه وسلم) : (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأبيض على أحمر، ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى. إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

٣ - المرأة فى الإسلام

سما الإسلام بمكانة المرأة وليدة، وناشئة، وزوجة، وأمّا. وقد وصَّى القرآن بالأم فى أكثر من موضع، وتحدث القرآن عن نساء بلغت منزلة عالية فى الجهاد، والبذل، والعطاء، تكلم القرآن عن أم موسى، وأخت موسى وزوجة موسى؛ وكان لهن منزلة عالية فى الجهاد والعطاء. وتكلم عن مريم البتول، وعبادتها وإخلاصها، ثم حَمْلها وولادتها، ورعايتها للمسيح، وجعلها الله آية على قدرته وعظمته.

تكلم القرآن عن زوجة فرعون التى آمنت وأخلصت، وكانت مثلاً أعلى فى الإيمان بالله، وتفضيل الآخرة على الدنيا، تكلم القرآن عن عدالة الله التى جعلت الجزاء من جنس العمل؛ للرجل والمرأة على السواء.

قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل ٩٧.

فالقرآن كتاب الله، وهو أساس التشريع وكلّى الشريعة وأصل أصولها، قرن بين الرجال والنساء فى الدعوة إلى العمل والجهاد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وحث القرآن والحديث على طلب العلم، وجعل طلب العلم فريضة للرجال والنساء على السواء.

وبرز فى التاريخ الإسلامى من بين النساء عالمات فاضلات، فى الفقه والتفسير، والأدب والنحو والعروض، ومنهن من بلغت درجة الأستاذية. كالسيدة عائشة وأمهات المؤمنين، وسكينة بنت الحسين، ونفيسة العلم، وكان مجلسها قبلة للعلماء ومئات المتعلمين من الرجال والنساء على السواء.

وقد مرت بنا فترة طويلة عمّ فيها الجهل وساد الظلام، فشمل الرجال والنساء على السواء.

ونحن الآن فى طريقنا إلى يقظة فقهية ودينية، لا نستوردها من أمريكا ولا من الغرب، بل من أصول ديننا الذى دعانا إلى العلم، وحذرنا من الجهل، وأعطى المرأة مكانة سامية، فهى تبيع وتشترى وتتملك العقار والمنقول، ولها أهلية كاملة، وينبغى أن نباهى بهذا الدين، وأن ننادى بتعليم المرأة، وتثقيفها، ونعترف لها بما أعطاها الله من حقوق، وما فرض عليها من واجبات، وفى أصول الدين وحقائقه من ذلك القدر الكبير.

فى ضوء نصوص القرآن والسنة

قرن الله بين الرجال والنساء فى عشر صفات. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ الأحزاب ٣٥.

قال (صلى الله عليه وسلم): (النساء شقائق الرجال) . وروى البخارى فى صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (استوصوا بالنساء خيراً).

وكان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتسع للرجال وللنساء، وللمسجد باب يسمى باب النساء، ولم يكن هناك حاجز أو ستارة أو جدار يفصل بين الرجال والنساء فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وفى الحج والطواف، والسعى والوقوف بعرفات، وأداء المناسك لا يفصل فاصل بين الرجال والنساء سوى فاصل التقوى، والعفة، والالتزام بغض البصر، والاستعفاف عما يغضب الله.

وفى الحديث الشريف : (قالت النساء: يا رسول الله، غلبك علينا الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فجعل لهن يوماً خاصاً يعظهن، ويعلمهن، ويجيب على أسئلتهن).

وكانت عائشة (رضى الله عنها) تستدرك على كثير من الصحابة، وجمع بعض العلماء تعليقات عائشة أم المؤمنين فى كتابه سماه (الإصابة فيما استدركته عائشة على الصحابة).

وحكى القرآن عن بلقيس ملكة سبأ، التى كان لها عرش عظيم، وأوتيت من كل شىء، وراسلت نبى الله سليمان، وانتهت قصتها بإيمانها، وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سورة النمل ٤٤.

وقال (سبحانه) : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ سورة التحريم ١١, ١٢.

وقال(سبحانه): ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ...﴾ سورة التوبة ٧١, ٧٢.

وقال (عز شأنه) : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ ...﴾ سورة آل عمران ١٩٥.

هذه هى الحقائق المجردة عن كل هوى، ومن حاد عنها يكون قد حاد عن الحق الأبلج، ونحن ندعو الجميع إلى هذه المعرفة الحقة، والتعمق فيها، خدمة لأنفسنا ولأجيال أمتنا، وللحفاظ على وحدتنا وقوتنا، ولإتقان أعمالنا، وصدق الله العظيم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ سورة الكهف ٣٠.

والله سبحانه ولى التوفيق، وصل اللهم على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم .

المصحف العمانى
فى ضوء تاريخ كتابة القرآن الكريم

(المصحف العماني في ضوء تاريخ كتابة القرآن الكريم)

بسم الله الرحمن الرحيم، (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) - والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد :

تعودنا فى كتب القراءات أن تؤلف الكتب فى القراءات وأنواعها المشهورة والشاذة، وقد استطاع عالم عمانى أن يجمع هذه المعلومات النظرية حول كتاب الله تعالى، وذلك فى المصحف العمانى الذى خطه الشيخ - عبد الله بن بشير بن مسعود ابن سعيد بن عمر العوامرى الحضرمى الصحارى، الذى نزل نزوى وأقام بها، وكتب بها ذلك المصحف الشريف، ثم أهداه إلى صديق له، فى شهر ربيع الأول ١١٥٧هـ أى منذ أكثر من ٢٥٨ عاماً، وهو شامل للقراءات السبع المشهورة.

الصفحة الأخيرة من المصحف

الصفحة الأخيرة فى المصحف لوحة فنية كتبت على شكل مثلث مع زخرفة فى أضلاعه، وفيها ما يأتى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾. الأنعام ١١٥.

وكان الفراغ من كتابة هذا المصحف المبارك الشريف يوم الأحد لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ١١٥٧ من الهجرة النبوية (على مهاجرها أفضل الصلاة وأكمل التحيات) على يدى أفقر عباد الله وأحوجهم إلى رحمته، عبد الله بن بشير بن مسعود بن سعيد بن عمر العوامرى الحضرمى الصحارى، نسخة لأخيه فى الله صباحية بن محمد بن سعيد بن محمد بن عباد بن محمد العبادى النزوى(رزقه الله حفظه والعمل بما فيه إنه سميع قريب) وكان تمامه بمسجد مود من قرية نزوى (حرسها الله) وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وسلم تسليماً كثيراً.

ومـا من كـاتب إلا سـتـبـقى كـتـابتـه وإن بليت يداه
فـلا تكتب بكفك غـيـر شىء يسـرك فى القـيـامـة أن تراه

وكان ذلك فى الصفحة ٤٨٣، واستمر إلى ص ٤٩٩ فى ذكر فوائد تتصل بقراءة القرآن الكريم، ثم ذكر (دعاء مستجاب)، فى خمس صفحات وعدة مسائل فيها ما يأتى :

فصل فى معرفة آى القرآن العظيم وعدد حروفه، عدد آيات القرآن العظيم ٦٦٦٦ آية، منها ألف آية وعد، وألف آيه وعيد، وألف آيه أمر، وألف آيه نهى، وألف آية عبر وأمثال، وألف آيه قصص وأخبار، وخمسمائة آية تحريم، ومائة آية دعاء وتسبيح، وست وستون آية ناسخ ومنسوخ.

والمصحف العمانى يقع فى خمسمائة صفحة، من القطع الكبير، وقد استخدم فى كتابة المصحف اللون الأسود، أو المداد الأسود فى كتابة سائر الصحف، واستعمل المداد الأحمر فى كتابة عنوان السورة، مثل: سورة المعارج « مكية » أربع وأربعون آية، فيكتب عنوان السورة بمداد أحمر، تمييزاً لها، كما يكتب لفظ الجلالة بالمداد الأحمر، كذلك يستخدم المداد الأحمر فى علامات الوقف، والإشارات إلى اختلاف القراءات، كذلك استخدم المداد الأحمر فى التعليقات التى كتبها حول كل صفحة من صفحات المصحف مشيراً إلى القراءات المختلفة التى وردت فى أى كلمة من كلمات الصفحة، وكل سطر من سطور المصحف يكتب الحرف الأول منه بالمداد الأحمر فالصفحة ١٥ سطر × ٥٠٠ صفحة = ٧٥٠٠ سطر فى هذا المصحف، وقد استخدم المداد الأحمر أيضاً للإشارة إلى القراءة الأخرى.

مثال : فى سورة المدثر كتب السورة بالمداد الأسود هكذا :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤ ﴾، وقد علق فى الهامش بالمداد الأحمر على كلمة الرُّجز، فقال : حفص (والرُّجز) بضم الراء والباقون بكسرها، وشكلت (الرِّجز) بالمداد الأسود، ثم

وضعت كسره تحت الراء بالمداد الأحمر؛ لتشير إلى قراءة القراء الستة الباقين (والرِّجز فاهجر).

وقد راعى قراءة عاصم برواية حفص فكتبها بالمداد الأسود، وإذا خالفه غيره كتب المخالفة بالمداد الأحمر، فى سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾ .

أشار إلى كلمة حمالةَ فقال : عاصم بفتح التاء والباقون بضمها.

وتلاحظ أن الفتح يشير إلى نصب حمالة على الذم، أى أذم حمالة الحطب، والرفع على أنه خبر لامرأته.

وكذلك فى كلمة أبى لهب نجد التعليق التالى : ابن كثير أبى لهّب بإسكان الهاء والباقون بنصبها، أى أن قراءة ابن كثير بإسكان الهاء، وقريب من ذلك قول الشاعر العربى :

خبير بنو لهّب فلاتك ملغيا   مقالة لِهْبىٍّ إذا الطير دلّت

أما باقى القراء الستة فيقرؤون (تبت يد أبى لَهَبٍ وتَب).

ومن الطرائف أنه فى آخر المصحف كتب ما يأتى : فائدة: هذه أسماء القراء الذين كانوا فى المدينة إذا كتبت أسماؤهم وطرح المكتوب فى الحبوب فإنه لا يقربه السوس ولا غيره، وهذه أسماؤهم (رضى الله عنهم) وهم : عبيد الله، عروة، قاسم، سعيد، أبو بكر، سليمان، خارجة، رضى الله عن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

سورة الإخلاص

وتسمى سورة الصمد وهى سورة من سطر واحد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ .

علق عليها بقوله : حفص – كُفُوًا بضم الفاء وفتح الواو من غير همز، وحمزة بإسكان الفاء مع الهمزة فى الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً مفتوحة اتباعاً للخط، والقياس أن يلقى حركتها على الفاء والباقون بضم الفاء مع الهمزة (أى كُفُؤً).

وليس فى الفَلَق والنَّاسِ خلاف، إلا ما تقدم من الأصول فى صدر الكتاب، والله الهادى والموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

كتابة المصحف :

كتب المصحف بخط نسخ جميل أنيق، وفيه مظاهر متعددة من خط الثلث فى رشاقته وجماله، ويمكن أن نقول: إن خط المصحف مزيج من النسخ والثلث، مع جمال الخط ووجود فواصل مناسبة بين السطور، واستخدام المداد الأحمر لدلالات متعددة، وفيه جهد كبير، وأداء للقراءات على صفحات المصحف فهو تحفة فنية، وعمل مبارك يستحق الثناء والتقدير.

افتتاحية المصحف :

نجد فى افتتاحية المصحف صفحة تعريفية فيها ما يأتى :

خط هذا المصحف المبارك فى السنة السابعة والخمسين بعد المائة والألف، وجاء نسخه؛ لأمرين جليلين هما :

أولاً – أنه كتاب الله ووحيه إلى رسوله الأمين.

ثانياً – المحافظة على الخط العربى العمانى الأصيل، كنموذج حىٍّ على الفن الرائع المتميز آنذاك.

ومن هذا المنطلق جاءت الإرادة السامية لحضرة صاحب الجلالة سيدنا السلطان قابوس بن سعيد المعظم، سلطان عمان، فأمر بتصوير وطبع هذا المصحف المبارك على نفقته الخاصة، حرصاً على المحافظة على التراث العربى العمانى الخالد، وتقرباً إلى الله تعالى ابتغاء مرضاته.

كتابة القرآن

فى عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

١ - العناية بالقرآن :

كانت همة الرسول وأصحابه متجهة أول الأمر إلى حفظ القرآن، وجمعه فى القلوب والصدور، وقد شغل المسلمون أنفسهم بقراءته فى صلاتهم وتهجدهم، وسفرهم وحضرهم، وليلهم ونهارهم، وكان هناك جيش من القراء وجموع المسلمين، تقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار.

ومع ذلك فإن عناية الرسول وصحابته بالقرآن فاقت كل عناية، فلم تصرفهم عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه. ولكن بمقدار ما سمحت لهم وسائل الكتابة وأدواتها فى عصرهم.

فها هو ذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد اتخذ كُتَّاباً للوحى، منهم من كان يكتب فى بعض الأحيان، ومنهم من كان منقطعاً للكتابة متخصصاً لها، وكلما نزل شىء من القرآن أمرهم بكتابته، مبالغة فى تسجيله وتقييده وزيادة فى التوثيق والضبط والاحتياط فى كتاب الله - تعالى -، حتى تظاهر الكتابة الحفظ، ويعاضد النقش اللفظ.

وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة فيهم : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية، وأبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت، فيكتبونه فيما يسهل من العسب « جريد النخل »، واللخاف (الحجارة الرقيقة)، وقطع الأديم (الجلد)، والرقاع (من الورق والكاغد)، وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يوضع المكتوب فى بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وهكذا انقضى العهد النبوى المبارك والقرآن مجموع على هذا النمط، بيد أنه لم يكتب فى صحف ولا فى مصاحف، بل كان منثوراً بين الرقاع والعظام ونحوها مما ذكرنا.

وروى عن ابن عباس أنه قال : (كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : « ضعوا هذه السورة فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا ».

وعن زيد بن ثابت قال : (كنا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نؤلف القرآن من الرقاع).

ومعنى تأليف القرآن من الرقاع، وضع كل آية فى سورتها حسب إرشاد النبى (صلى الله عليه وسلم). وكان هذا الترتيب بتوقيف من جبريل (عليه السلام)، فقد ورد أن جبريل (عليه السلام) كان يقول: (ضعوا آية كذا فى موضع كذا).

ولا ريب أن جبريل كان لا يصدر فى ذلك إلا عن أمر الله (عز وجل)، فهو أمين على وحى السماء. قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ، عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ « سورة الشعراء ١٩٣-١٩٤ ».

٢ - ترتيب الآيات توقيفى :

وترتيب الآيات فى سورها توفيقى من غير خلاف بين المسلمين [١]. فقد كان جبريل يراجع النبى بالقرآن، ويدارسه إياه فى رمضان ويرشده إلى مكان كل آية، وترتيب آيات كل سورة، حتى لقى النبى (صلى الله عليه وسلم) ربه والقرآن محفوظ فى صدور المسلمين متواتر، بطريقة أدائه وترتيب آياته.

وقال تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾، وقد فسر بعضهم الترتيل بأنه قراءة القرآن حسب ترتيبه الوارد من غير تقديم ولا تأخير [٢].

٣ - حفاظ القرآن :

حفظ القرآن فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) جموع غفيرة تجاوز عددهم العشرات والمئات، قال القرطبى: «قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) ببئر معونة مثل هذا العدد».

---

(١) الإتقان : ٩٩/١، البرهان : ٢٣٧/١.

(٢) البرهان : ٢٥٩/١.

وكانت عناية الصحابة بحفظ القرآن أكثر من عنايتهم بكتابته، ولذا كان منهم من يحفظه كله، ومنهم من يحفظ بعضه؛ سواء فى ذلك المهاجرون والأنصار.

وممن حفظه من المهاجرين : أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وطلحة، وسعد ابن أبى وقاص الزهرى، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبى حذيفة، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وابن عمرو، ومعاوية، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة.

وممن حفظه من الأنصار : أبى بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأبوالدرداء، وأنس بن مالك، وأبو زيد، وتميم الدارى [1].

وممن نوه الرسول (صلوات الله عليه) بحفظهم وجودة قراءتهم أربعة، قال (صلى الله عليه وسلم): « استقرءوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة، وأُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل » [2].

فاختص هؤلاء الأربعة بالذكر؛ لأنهم كانوا فيما يظهر أكثر حفظاً وأجود قراءة، وهذا لا يمنع أن يكون غيرهم حافظاً مثلهم.

القرآن فى عهد أبى بكر

١ - التفكير فى جمع القرآن :

لم يجمع القرآن فى كتاب واحد فى حياة النبى (صلى الله عليه وسلم)، بل كان مجزءاً فى العُسُب واللخاف والعظام، وما تيسر من الرقاع، وغيرها مما يكتب عليه.

وإنما لم يجمع القرآن فى حياة الرسول لاستمرار نزول الوحى، واحتمال نزول ناسخ لبعض الآيات؛ ولعدم الحاجة إلى جمع المصحف ما دام رسول الله بين المسلمين، وهو المرجع الأوفى للقرآن الكريم، فلما تولى أبو بكر خلافة المسلمين، نشط لحرب المرتدين عن الإسلام، واستشهد جمع من المسلمين فى هذه الحروب،

---

(١) الإتقان : ١/٩٠ . وانظر فضائل القرآن لابن كثير : ٩٩ - ١٠٢.

(٢) البخارى : ٨١/٧، مسلم : ١٨/٦.

خصوصاً فى معركة اليمامة، التى قتل فيها مسيلمة الكذاب، واستشهد فيها من المسلمين مائتان وألف، بينهم تسعة وثلاثون من كبار الصحابة؛ وسبعون من حفاظ القرآن [1].

وحزن المسلمون لموت قراء القرآن وخافوا أن يضيع شىء من القرآن بموت حملته فاقترحوا على أبى بكر (رضى الله عنه) جمع القرآن فى مصحف واحد، موثقاً بلجنة من كبار القراء الذين تلقوه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وكان من أشهر القراء : زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب، وعلى بن أبى طالب، وأبو موسى الأشعرى، وسالم مولى أبى حذيفة، وقد استشهد سالم مولى أبى حذيفة فى معركة اليمامة.

وقد اختير زيد بن ثابت من بين الصحابة ليشرف على جمع القرآن؛ لأنه حضر العرضة الأخيرة للقرآن؛ ولأنه شاب، فهو أقدر على العمل منهم، وهو لشبابه أقل تعصباً لرأيه واعتزازاً بعمله، وذلك يدعوه إلى الاستماع لكبار الصحابة من القراء والحفاظ، والتدقيق فى الجمع دون إيثار لما حفظه [2].

٢ - حديث البخارى :

روى البخارى فى صحيحه أن زيد بن ثابت (رضى الله عنه) قال : « أرسل إلىَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر (رضى الله عنه): أن عمر أتانى فقال : «إن القتل قد استحر (أى اشتد) يوم اليمامة بالناس، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن؛ فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه، وإنى لأرى أن تجمع القرآن»، قال أبو بكر قلت لعمر: «كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله؟» فقال : «هو والله خير»، فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله لذلك صدرى ورأيت الذى رأى عمر. قال زيد : «عنده عمر جالس لا يتكلم»، فقال أبو بكر: «إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتتبع القرآن فاجمعه»، «فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن». قلت: «كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول

(١) محمد حسين هيكل : الصّديق أبو بكر ص ٣٠٩.

(٢) هيكل : المرجع السابق : ٣٤١.

الله (صلى الله عليه وسلم)؟ فقال أبو بكر: «هو والله خير»، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر. فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع غيره: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ، فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾[1]. فلما نسخنا الصحف فى المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب، كنت أسمع رسول الله (صلى الله عيه وسلم) يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع أبى خزيمة الأنصارى الذى جعل رسول الله شهادته بشهادة رجلين . ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ﴾[2] فألحقتها فى سورتها، فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله. ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر».

٣ - توضيح وبيان :

ذكرنا حديث زيد بن ثابت برواية البخارى، وقد أجمعت الروايات على صحته، بيد أنه يحتاج إلى بيان وتوضيح أسجله فيما يلى :

١ - أصل القرآن كان محفوظاً فى الصدور متلوّاً فى المحاريب.

٢ - أصل القرآن كان مكتوباً فى جذاذات ورقاع متفرقة.

٣ - عمل زيد ومن معه كان ترتيب هذه الجذاذات والرقاع وجمعها ومقابلتها بالمحفوظ المتواتر.

٤ - لم يعتمد زيد على حفظه وذاكرته، ولا على ما كتبه لرسول الله، وهو من أوثق كتاب الوحى، وإنما جمع كل ما كتب من القرآن، وجلس هو وعمر

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣.

ابن الخطاب على باب المسجد وقال : « من كان تلقى من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) شيئاً فليأتنا به »[1].

٥ - استوثق زيد ومن معه فى جمع القرآن زيادة فى الحيطة والعناية والتثبت « كان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) »[2].

٦ - كان زيد قد سمع القرآن جميعه من رسول الله، ووعاه معه جموع المسلمين وكتبوه أيضاً. وكان الحفظ مستفيضاً والكتابة معروفة لجميع نصوص القرآن غير أن آيتين من آخر سورة « براءة » لم تكونا مكتوبتين إلا عند أبى خزيمة الأنصارى، وهو الرجل الذى اختصه النبى بشهادة رجلين، فكتبهما زيد فى مكانهما من المصحف.

٧ - المصحف المجموع احتفظ به كوثائق العقود التى تودع للحاجة والمستقبل، أما حقيقتها الخارجية فليست محل جدل، لأنها أشبه بالمحسوسات المادية الراسخة.

٨ - ثبت نص القرآن بالتواتر المستفيض، وروته جموع غفيرة يؤمن تواطؤها على الكذب، وتكفل الله بحفظه، وتمت كتابته على أوثق وجه بمشورة عمر، واقتناع أبى بكر، وهمة زيد بن ثابت وصدق عزيمته، فهو أصدق وثيقة عرفها التاريخ لم يدخله تبديل ولا تغيير : ﴿ لا تبديل لكلمات الله ﴾.

٩ - شهد المنصفون بالدقة البالغة فى جمع القرآن والصدق والتثبت فى روايته، قال المستشرق الإنجليزى سير وليم موير : « إن القرآن بمحتوياته ونظامه ينطق فى قوة بدقة جمعه، فقد ضمت الأجزاء المختلفة بعضها إلى بعض ببساطة تامة، لا تعمل فيها ولا تكلف، وهذا الجمع لا أثر فيه ليد تحاول المهارة أو التنسيق، وهو يشهد بإيمان الجامع وإخلاصه لما يجمع، فهو لم يجرؤ على أكثر من تناول هذه الآيات المقدسة ووضع بعضها إلى جانب بعض ».[3] فعمل زيد كان مقتصراً على جمع الرقاع من القرآن، وربطها بخيط، وحفظها عند الخليفة؛

---

(١) الإتقان : ١/١٠٠.

(٢) الإتقان : ١/١٠٠.

(٣) محمد حسين هيكل. الصديق أبو بكر : ٣٣٢.

لتكون نصًا خالداً باقياً على مدى الحياة. ويقول سير وليم موير أيضا : «والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ظل اثنى عشر قرناً كاملاً بنص هذا مبلغ صفائه ودقته» [1].

القرآن فى عهد عمر بن الخطاب

اتسعت الفتوحات الإسلامية فى عهد عمر، وامتدت خريطة العالم الإسلامى فشملت بلاد الفرس والروم وغيرها، ولم تمض عشر سنوات على وفاة النبى الكريم حتى كانت دعوة الإسلام تزحف بقوة ذاتية، فتطوى ممالك ودولاً، وتحتوى شعوباً وأمماً- والإسلام دعوة عالمية لا تعرف العنصرية ولا العصبية- ودخل الأعاجم فى دين الله أفواجا، وأقبلوا على الدين الجديد يستوعبون أحكامه ويرتلون قرآنه بلهجات متعددة، وقرءات متنوعة.

وكان عمر (رضى الله عنه) يرسل القراء والمعلمين إلى الأمصار؛ ليأخذ الناس عنهم كتاب الله، كما كانت هناك مدرسة بالمدينة؛ لتعليم الصبية القرآن، وكان عمر يتعهد هؤلاء الصبية، حتى إذا سافر إلى الشام بعد فتحها استوحش الصبية للقائه؛ فخرجوا لاستقباله عند عودته على مسافة يوم.

وفكر عمر فى كتابة السنن وجمع الأحاديث وأخذ يستخير الله فى ذلك، ثمَ عدل عنه حتى لا تصرف الناس عن كتاب الله.

روى عن قرظة بن كعب أنه قال : «لما سيَّرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر، وقال : أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم، مكرمة لنا. قال : ومع ذلك فإنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا شريككم، فلما قدم قرظة قالوا : حدثنا. قال : نهانا عمر [2].

---

(١) المرجع السابق : ٣٥١.

(٢) محمد الزفزاف : التعريف بالقرآن والحديث: ٢٠٣، نقلاً عن تذكرة الحفاظ للذهبي.

ولم يضن عمر على البلاد المفتوحة بالقراء والمعلمين للقرآن، فكان ينتقى شيوخ القراء من المدينة ويرسلهم إلى المدن المفتوحة. وحين طلب منه أهل الشام قُرّاء لبى طلبهم ورسم لهم خطة تجمع الناس على القراءة السليمة والأداء السليم.

روى محمد بن سعد فى طبقاته عن محمد بن كعب القرظى بإسناده قال : «جمع القرآن فى زمان النبى (صلى الله عليه وسلم) خمسة من الأنصار : معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبى بن كعب، وأبو أيوب، وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبى سفيان أن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملأوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعنّى يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة، فقال : إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوا بمن يعلمهم القرآن ويفقههم فى الدين فأعينونى (رحمكم الله) بثلاثة منكم إن أجبتم، فاستهموا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا : ما كنا لنستهم، هذا شيخ كبير، لأبى أيوب، وأما هذا فسقيم، لأبى بن كعب، فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء. فقال عمر : ابدءوا بحمص فإنكم ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن، فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخر إلى فلسطين».

وقدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة، وخرج أبو الدرداء إلى دمشق، ومعاذ إلى فلسطين، أما معاذ فمات فى طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعدُ إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات.

وكان اتساع الفتوحات وانتشار الإسلام فى ممالك الفرس والروم ومصر، وتيسير القراءة على الناس حسب ما تساعدهم عليها عضلات أصواتهم ولهجات قبائلهم، مع ضعف الرقابة على القراءة وسماح الدين أن يقرأ القرآن على سبعة أوجه، كان كل ذلك مما أحدث خلافاً كبيراً بين الناس فى طريقة القراءة. فلما جاء عهد الخليفة الثالث عثمان ورأى هذه الفتنة جمع الناس على مصحف واحد هو المصحف الإمام، وأحرق ما عداه من المصاحف وكتب نسخة من المصحف العثمانى إلى عدد من الأمصار الإسلامية، وقد تلقته الأمة بالقبول خلفاً عن سلف .

القرآن فى عهد عثمان

١ - امتداد الفتوحات :

امتدت الفتوحات فى عهد عثمان (رضى اللهعنه)، وسمح عثمان للقرشيين أن ينتشروا فى الأمصار، وكان عمر قد منعهم من ذلك وأبقاهم فى المدينة، وأخذ أهل كل مصر عن رجل من القراء.

فأهل دمشق وحمص أخذوا عن المقداد بن الأسود، وأهل الكوفة عن ابن مسعود وأهل البصرة عن أبى موسى الأشعرى- وكانوا يسمون مصحفه « لباب القلوب ».

وقرأ كثير من أهل الشام بقراءة أبى بن كعب.

وكانت وجوه القراءة التى يؤدون بها القرآن مختلفة باختلاف الأحرف التى نزل عليها، فاختلف الناس فى القراءة، وعظم اختلافهم وتشتتهم حتى أن الرجل ليقول لصاحبه: إن قراءتى خير من قراءتك، وأفضل من قراءتك، وبلغ الأمر من ذلك حتى كاد يكون فتنة: اختلفوا وتنازعوا وأظهر بعضهم تكفير بعض والبراءة منه وتلاعنوا.

ذكر الحافظ : « إن أناساً من أهل العراق كان أحدهم إذا سمع آية تقرأ بغير قراءته قال : إنى أكفر بهذه، وفشا ذلك فى الناس فكلم عثمان فى ذلك ».

٢ - أسباب جمع عثمان للمصحف :

وردت عدة روايات ذكرت فيها الأسباب التى حملت عثمان على جمع المصحف:

١ - فمنها ما يفيد أن السبب هو أن عثمان رأى اختلاف معلمى القرآن بعضهم مع بعض، وتعصبهم لقراءة تعلموها، وإنكارهم لما عداها.

روى ابن أبى داود فى المصاحف أنه لما كانت خلافة عثمان جعل الرجل يعلم قراءة الرجل، والرجل يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع الأمر إلى المسلمين وكفر بعضهم بعضا، فبلغ ذلك عثمان فخطب فقال: «أنتم عندى تختلفون فمن نأى عنى من الأمصار أشد اختلافاً».

٢ - ومنها ما يفيد أن القرآن جمع بمشورة حذيفة بن اليمان لمَّا رأى اختلاف الناس فى العراق. وفى رواية أن حذيفة رأى هذا التعصب فى مسجد الكوفة- والكوفة جزء من العراق.

وروى ابن أبى داود أن حذيفة كان فى مسجد من مساجد الكوفة زمن ولاية الوليد بن عقبة بن أبى معيط فسمع رجلاً يقول : قراءة ابن مسعود، وسمع آخر يقول : قراءة أبى موسى. فقام فخطب فى الناس فقال : « هكذا اختلف من كان قبلكم والله لأركبن إلى أمير المؤمنين ».

وذكر الحافظ رواية جاء فيها : إن عثمان قال: «تمترون فى القرآن، تقولون : قراءة أبىّ، قراءة عبد الله، ويقول الآخرون: والله ما تقيم قراءتك».

٣ - ومنها ما يفيد أن سبب الجمع هو التقاء جموع من الأمصار المختلفة فى مواطن الغزو والجهاد، واستماعهم للقراءات المختلفة، وتعجبهم، وإنكارهم لاختلاف طرق أداء القرآن، وانتقالهم من التعجب إلى الشك والمداجاة، ثم إلى التأثم والملاحاة، وبلغ ذلك عثمان فأمر بجمع القرآن.

وأنت ترى أن تعدد الروايات فى أسباب الجمع لا تضارب بينها، فكل الروايات تلتقى على أن هناك أسباباً جدَّت فى المجتمع الإسلامى؛ حدت بعثمان إلى جمع القرآن.

ويمكن أن يكون هذا الخلاف حدث فى المدينة أمام عثمان، وحدث فى العراق وفى الكوفة أمام حذيفة، ورأى حذيفة اختلاف المجاهدين فى القراءة حين كان يغازى أهل أرمينية؛ فرفع ذلك إلى عثمان.

ولعل أسباباً أخرى للجمع لم تذكرها الروايات وإن عرفت من بين القرائن، هى جهل الجمهور الجديد بنزول القرآن على سبعة أحرف، وهم حتى إن عرفوا

الحديث الذى ينص على نزول القرآن على هذه الأحرف، فإنهم يجهلون القراءات الصحيحة التى يحتكمون إليها عند الاختلاف.

لذلك رأى عثمان جمع الناس على مصحف واحد بلغة قريش، وهى التى نزل بها القرآن، توحيداً للكلمة ودرءاً للفتنة ورعاية للمصلحة العامة، وجمعاً للناس على كتاب واحد، هو أساس دينهم ومحور حياتهم، فالتقاؤهم عليه التقاء على حبل متين وركن ركين.

وإذا علمنا أن جزءاً من هذا الاختلاف كان فى أماكن الغزو ومواطن الجهاد، حيث السيوف مشرعة، والأسنة مستعدة، أدركنا ما يصيب الأمة من التفرق، وما يفيدها من الاجتماع على مصحف واحد.

٣ - حديث البخارى :

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان- وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق- فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف، وقال عثمان لرهط القرشيين الثلاثة : «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم»، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كُلِّ أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

٤ - تعليق على الحديث:

والمتأمل فى هذا الحديث والنصوص الواردة فى موضوعه، يخرج بالنتائج الآتية :

١ - أن جمع عثمان المصحف كان بمشورة حذيفة بن اليمان، والروايات الأخرى تفيد أن عثمان جمعه لما رأى اختلاف القراء بالمدينة، وكأن عثمان توقع أن يكون قراء الأمصار أشد اختلافاً، فلما جاء حذيفة تأكد لديه ما توقعه فأمر بجمع القرآن.

٢ - أن الجمع فى عهد عثمان اعتمد أساساً على الجمع الذى كتب فى عهد أبى بكر، وقد حظى الجمع الأول بعناية الصحابة وموافقتهم، وتضافرت له جهود متعددة وأشرف عليه زيد بن ثابت كاتب الوحى، وقد تم الجمع الأول بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) بمدة وجيزة والقرآن غض طرى والوحى يتلى فى كل مكان. وذكر القرطبى أن زيداً جمع القرآن فى عهد أبى بكر غير مرتب السور بعد تعب شديد، وأن الصحف حفظت بعد جمعها عند أبى بكر ثم عند عمر، ثم عند حفصة.

٣ - أحرق عثمان عدداً من المصاحف الفردية التى كتبها بعض الصحابة لنفسه وهى مصاحف خاصة، اختلف بعضها عن بعض فى ترتيب السور، وفى بعض القراءات، وكان من أشهرها مصحف على، ومصحف أبى بن كعب، ومصحف عبد الله بن مسعود، ومصحف أبى موسى الأشعرى، وقد أدى انتشار هذه المصاحف الفردية إلى الفرقة والاختلاف.

٤ - حاول بعض المستشرقين أن ينفى الجدية والتواتر عن مصحف عثمان، وذكر أن عثمان جمعه بحافز شخصى حتى يكون لديه مصحف خاص كغيره من أفراد الصحابة، وهى فرية تريد أن تجرد المصحف الإمام من كونه عملاً تضافرت عليه جهود، وتوافرت له صفة التواتر وقطعية الثبوت .

٥ - كانت كتابة المصحف فى عهد عثمان بلغة قريش فهى اللغة الأولى التى نزل بها القرآن، وهى لغة جمهور المسلمين، ولغة الشعر والأدب، ولسان الدولة الرسمى، وقد أبيحت قراءة القرآن باللهجات المختلفة تيسيراً على الناس فى صدر الإسلام، « فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة وكان اقتصارهم على حرف واحد يسيراً عليهم وهو أوفق لهم أُجمِعوا على الحرف الذى كان فى العرضة الأخيرة».

٦ - تلقى الناس عمل عثمان بالقبول، ووافقوا عليه مقتنعين بما بذل فيه من جهد، وبما يحقق من وحدة الأمة وتماسكها. قال الإمام على (رضى الله عنه) : « لا تقولوا فى عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذى فعل إلا على ملأ منا » . وقال أيضاً: «لو وليت لفعلت فى المصحف ما فعل عثمان ».

وقال عبد الرحمن بن مهدى : «خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبى بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف » وقد كانت هناك معارضة من عبد الله بن مسعود ثم رجع عنها لما رأى مصحف عثمان.

لجنة المصحف :

تختلف الروايات فى عدد الحفاظ الذين عهد إليهم عثمان (رضى الله عنه) بكتابة المصحف، فمنها ما يفيد أنه عهد إلى زيد بن ثابت بكتابته.

ورواية البخارى تفيد أن اللجنة كانت مكونة من أربعة.

وجاء فى رواية ابن أبى داود أن اللجنة كانت مكونة من اثنى عشر رجلاً.

ويتضح من جملة الروايات أن زيد بن ثابت كان رئيس اللجنة، وأن عثمان ندب معه أربعة من خيرة الصحابة وثقات الحفاظ.

ولعل عثمان أمد اللجنة بعدد آخر من الصحابة؛ لمساعدتها فى نسخ المصاحف التى أرسلها إلى الأمصار.

فمن نسب كتابة المصحف إلى زيد بن ثابت، راعى أنه رئيس اللجنة فينسب العمل إليه، ومن جعل اللجنة رباعية راعى أنها اللجنة الأصلية المكلفة بكتابة المصحف الإمام، ومن زاد فى عددها إلى ١٢ ضم إليها أسماء من استعان بهم عثمان للمساعدة فى نسخ المصاحف؛ التى أرسلت إلى البلدان الإسلامية.

أسماء كتبة المصحف العثمانى :

ذكر البخارى أن عددهم أربعة هم :

١ - زيد بن ثابت.

٢ - عبد الله بن الزبير.

٣ - سعيد بن العاص.

٤ - عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

ورئيس اللجنة وحده من الأنصار، أما الثلاثة الباقون فهم من قريش.

وقد مر بك أن عثمان قال للرهط القرشيين الثلاثة : « إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ».

والمراد باللسان هنا طريقة الكتابة.

وزاد غير البخارى عليه ستة هم :

١ - عبد الله بن عمرو بن العاص.

٢ - عبد الله بن العباس.

٣ - أبى بن كعب.

٤ - مالك بن أبى عامر (جد مالك بن أنس).

٥ - كثير بن أفلح.

٦ - أنس بن مالك.

وابن أبى داود يذكر أن عدد اللجنة اثنا عشر، ولكن الحافظ ابن حجر لم يذكر إلا أسماء تسعة منهم، وقد أسقط فى عده عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكره السيوطى فى الإتقان.

فنحن لم نعرف من كتبة المصحف سوى عشرة، أما الاثنان الباقيان فلم نعرف اسمهما، ولم يطلع على اسمهما الحافظ بن حجر. وإذا لم يطلع ابن حجر وهو المحقق البارع على اسم شخص، فمن العسير العثور عليه؛ ولذلك سنعتبر لجنة المصحف لجنة عشرية.

وواضح من تكوين هذه اللجنة أن نصفها من قريش.

عبد الله بن الزبير، سعيد بن العاص، عبد الله بن الحارث بن هشام، عبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن العباس.

ونصفها من غير قريش، أربعة من الأنصار، هم :

زيد بن ثابت، أبى بن كعب، أنس بن مالك، كثير بن أفلح مولى أبى أيوب الأنصاري، ومولى القوم منهم.

والخامس مالك بن أبى عامر (جد مالك بن أنس) وهو حميرى يمنى.

فيكون التكوين قد روعى فيه أن يكون النصف من قريش، والنصف تقريباً من الأنصار وواحد من اليمن.

وواضح من تكوين هذه اللجنة أنها من العرب الخلص، ما عدا كثير بن أفلح فهو مولى أبى أيوب الأنصارى- والموالى كثيرون فى الصحابة- فلعل عثمان (رضى الله عنه) راعى فى تكوين اللجنة أن تمثل المهاجرين والأنصار واليمن من جهة، وأن تمثل الموالى من جهة أخرى.

وكما روعى حسن الاختيار ودقة تمثيل اللجنة للجماعة الإسلامية روعى فيها أن يجمع أعضاؤها بين الشباب والكهول، فالشباب يمثلون القوة والصحة والنشاط، والكهول يختارون للتجارب والخبرة ونضوج الفكرة وحسن المقدرة.

فمن أعضاء اللجنة الشباب :

زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأنس ابن مالك.

ومن الأعضاء الكهول :

عبد الله بن عمرو بن العاص، وأبى بن كعب، ومالك بن أبى عامر.

والخلاصة أن الاختيار كان موفقاً كل التوفيق، ولم يكن سببه هوى ذاتياً، أو تحيزاً شخصياً، وإنما كان سببه الكفاءة المطلقة والخبرة والإخلاص، والتقوى والعلم والمعرفة. وتاريخ اللجنة وسجل حياة أفرادها أعظم دليل على حسن هذا الاختيار والتوفيق فيه.

تحسين الرسم العثمانى

كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل، اعتماداً على السليقة العربية السليمة التى لا تحتاج إلى الشكل بالحركات ولا إلى الإعجام بالنقط، فلما تطرق إلى اللسان العربى الفساد بكثرة الاختلاط أحس أولو الأمر بضرورة تحسين كتابة المصحف بالشكل والنقط وغيرهما، مما يساعد على القراءة الصحيحة.

واختلف العلماء فى أول جهد بذل فى ذلك السبيل .

فيرى كثير منهم أن أول من فعل ذلك أبو الأسود الدؤلى؛ الذى ينسب إليه وضع ضوابط للعربية بأمر على بن أبى طالب، ويروى فى ذلك أنه سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ...﴾ التوبة: ٣، فقرأها بجر اللام من كلمة (رسوله)، فأفزع هذا اللحن أبا الأسود وقال : «عز وجه الله أن يبرأ من رسوله»، ثم ذهب إلى زياد والى البصرة وقال له : «قد أجبتك إلى ما سألت»، وكان زياد قد سأله أن يجعل للناس علامات يعرفون بها كتاب الله، فتباطأ فى الجواب حتى راعه هذا الحادث، وهنا جد جده، وانتهى به اجتهاده إلى أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وجعل علامة الكسرة نقطة أسفله، وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين.

ويذكر السيوطى فى « الإتقان » أن أبا الأسود الدؤلى أول من فعل ذلك بأمر عبد الملك بن مروان لا بأمر زياد، حيث ظل الناس يقرأون فى مصحف عثمان بعضاً وأربعين سنة. حتى خلافة عبد الملك حين كثرت التصحيفات وانتشرت فى العراق ففكر الولاة فى النقط والتشكيل .

وهناك روايات أخرى تنسب هذا الفعل إلى آخرين. منهم : الحسن البصرى، ويحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم الليثى، وأبو الأسود الدؤلى - هو الذى اشتهر عنه ذلك - وربما كان للآخرين المذكورين جهود أخرى بذلت فى تحسين الرسم وتيسيره.

وقد تدرج تحسين رسم المصحف، فكان الشكل فى الصدر الأول نقطاً، فالفتحة نقطة على أول الحرف، والضمة على آخره، والكسرة تحت أوله.

ثم كان الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف، وهو الذى أخرجه الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى العمانى، ويكنى أبا عبد الرحمن، إمام العربية فى زمانه ومستنبط العروض، توفى سنة ١٧٥هـ، فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسر كذلك تحته، والضم واو صغيرة فوقه، والتنوين زيادة مثلها، وتكتب الألف المحذوفة والمبدل منها فى محلها حمراء، والهمزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرف حمراء أيضاً، وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الإقلاب حمراء، وقبل الحلق سكون، وتعرى عند الإدغام والإخفاء، ويسكن كل مسكن، ويعرى المدغم ويشدد ما بعده إلا الطاء قبل التاء فيكتب عليها السكون، نحو: « فرطت » [1].

ثم كان القرن الثالث الهجرى فجاد رسم المصحف وتحسن، وتنافس الناس فى اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة، فجعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها. على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة.

ثم تدرج الناس بعد ذلك فى وضع أسماء السور وعدد الآيات، والرموز التى تشير إلى رؤوس الآى، وعلامات الوقف اللازم (م)، والممنوع (لا)، والجائز جوازاً مستوى الطرفين (ج) ،والجائز مع كون الوصل أولى (صلى)، والجائز مع كون الوقف أولى (قلى)، وتعانق الوقف بحيث إذا وقف على أحد الموضعين لا يصح الوقف على الآخر (∴ ∴)، والتجزئة، والتحزيب، إلى غير ذلك من وجوه التحسين.

وكان العلماء فى بداية الأمر يكرهون ذلك خوفاً من وقوع زيادة فى القرآن مستندين إلى قول ابن مسعود : « جردوا القرآن ولا تخلطوه بشىء »، ويفرق بعضهم بين النقط الجائز والأعشار والفواتح التى لا تجوز. قال الحليمى: « تكره كتابة الأعشار والأخماس ، وأسماء السور وعدد الآيات فيه لقول ابن مسعود: «جردوا القرآن » وأما النقط فيجوز؛ لأنه ليس له صورة فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآناً. وإنما هى دلالات على هيئة المقروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها ».

---

(١) الإتقان : ١٧١/٢.

ثم انتهى الأمر فى ذلك إلى الإباحة والاستحباب، أخرج ابن أبى داود عن الحسن وابن سيرين أنهما قالا : « لا بأس بنقط المصاحف »، وأخرج عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه قال: « لا بأس بشكله »، وقال النووى : « نقط المصحف وشكله مستحب؛ لأنه صيانة له من اللحن والتحريف » [1].

وقد وصلت العناية بتحسين رسم المصحف اليوم ذروتها فى الخط العربى[2].

ومن تحسين المصحف ما نراه فى المصحف العمانى، حيث وضعت الصفحة داخل إطار متعدد الألوان، وكذلك وضعت الإشارات إلى القراءات داخل إطار أكبر بحجم الصفحه تقريباً، كما نجد تقسيم المصحف إلى (٣٠) جزءا والجزء إلى حزبين، والحزب إلى أربعة أرباع، ونجد علامات السورة، وعلامات الوقف.

تحية إلى عُمان الفنية برجالها وعلمائها وتراثها، تحية إجلال وتقدير للعناية بالتراث فى عام التراث.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) انظر الإتقان : ٢/١٧١.

(٢) مباحث فى علوم القرآن، للأستاذ مناع القطّان ص ١٤٥.

بين الشيعة وأهل السنة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين وعلى خاتمهم سيدنا محمد (صلى الله وسلم عليه) وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان (إلى يوم الدين). أما بعد :

هذا تعريف بفرقة من فرق المسلمين هى الشيعة الجعفرية، حاولت فيه أن أبين موقفهم من القرآن الكريم والسنة النبوية، والعقيدة الإسلامية، ولمست أن الخلاف بيننا وبينهم مهما بدا فى ظاهره كبيراً، لا يخرج عن حيّز الاجتهاد المسموح به؛ وأملى أن نمد الجسور بين أمتنا، وأن نتعاون جميعاً فيما اتفقنا عليه، وأن يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وأن ندرك حقيقة عالمنا المعاصر، الذى يتلاقى فيه الكثيرون على الكيد للإسلام والمسلمين، وهذا يجعلنا أحرص الناس على إذابة الجليد بيننا، والترابط والتعاون والتآزر على البر والتقوى، ونبذ الخلاف والشقاق والنزاع، والأخذ بأسباب الوحدة والجماعة؛ حتى تعلو راية الإسلام وتعود للأمة الإسلامية أمجادها ومكانتها ومنزلتها السامية، قال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٩٢.

الشيعة الجعفرية والقرآن الكريم

يعتقد الشيعة الجعفرية كما يعتقد أهل السنة، أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على رسوله، والمنقول بالتواتر والمدوّن بين دفتى المصحف، بسوره وآياته المرتبة بتوقيف من الرسول (صلى الله عليه وسلم). وأنه جامع لأصول الإسلام: عقائده وشرائعه وأخلاقه.

والخلاف بين السنة والشيعة فى هذا الصدد يتمثل فى أمور شكلية وجانبية، لا تمس النص القرآنى بزيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تبديل.

فمن ذلك مثلاً أن الشيعة الجعفرية يجعلون سورة الأنفال وبراءة سورة واحدة. وكذلك سورة الضحى وألم نشرح، وسورة الفيل وقريش، فتكون سور القرآن عندهم ١١١ سورة على أنها ١١٤ سورة عند أهل السنة؛ ومن ذلك أيضاً أن الشيعة الجعفرية يذهبون إلى أن المتشابه من القرآن إنما يعد متشابهاً لغير أئمتهم، أما بالنسبة لأئمتهم، فإن الله قد أطلعهم على تأويل المتشابه، حتى الحروف المقطعة فى فواتح السور، فإنهم يعلمون تأويلها. ذكر ذلك الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه (الإمام الصادق)، وهذه آراء اجتهادية تتعلق بتفسير بعض آيات القرآن الكريم، ومن علماء السنة من قال بمثل هذه الأقوال، أو بآراء قريبة منها.

وجاء فى كتاب مجمع البيان للطوسى :

(وأما الكلام فى زيادة القرآن ونقصه فلا يليق، لأن الزيادة مجمع على بطلانها، وأما النقصان منه فالظاهر من مذهب المسلمين خلافه، وهو الصحيح من مذهبنا، وهو الذى نصره المرتضى)، (انظر أبو زهرة الإمام الصادق ص٣٢٩, ٣٣٠).

مصحف الإمام على

تذكر بعض المصادر عند أهل السنة والشيعة أن الإمام علياً (رضى الله عنه) كان له مصحف، مرتبة سوره وآياته وفق تاريخ نزولها، لا وفق ترتيبها فى المصحف العثمانى.

وهذا أمر وارد فقد كان للإمام على مصحف، وكان لعبد الله بن مسعود وغيره مصحف.

لكن بعد أن جمع عثمان المسلمين على مصحف واحد، وأحرق ما عداه، التزم الجميع بالمصحف الإمام .

بدليل ما نسب إلى الإمام على (رضى الله عنه)، فى الإشادة بجهد أبى بكر؛ فى جمع المصحف الجمع الأول، وبجهد عثمان فى الجمع الثانى، جاء فى كتاب مناهل العرفان، فى علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى من علماء الأزهر جـ١ ص٤٦٤.

قال الإمام علىّ : (أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر (رحمة الله على أبى بكر)، هو أول من جمع كتاب الله).

وقال الإمام على: « يا معشر الناس اتقوا الله، وإياكم والغلو فى عثمان وقولكم: حرّاق المصاحف، فوالله ما حرقها إلا على ملأ منا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) » وقال الإمام على أيضاً: (لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان).

الشيعة الجعفرية والسنة النبوية

يعتقد الشيعة الجعفرية - كما يعتقد الجمهور - أن السنة النبوية الثابتة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والتى تتمثل فى أقواله وأفعاله وإقراراته، أصل من أصول الشريعة الإسلامية، وحجة فى هذه الشريعة.

والخلاف بين أهل السنة والشيعة الجعفرية فى هذا الصدد يظهر فى ناحيتين :

إحداهما : تتعلق بما يرون تواتره وصحته من السنة النبوية.

والأخرى : تتعلق بأقوال وآراء يذهبون إلى أنها فى قوة السنة النبوية، وإن كانت لم تصدر عن الرسول (عليه الصلاة والسلام).

(١) أما فيما يتعلق بالناحية الأولى: فإنهم يذهبون إلى أن السنة يتعين عدم قبولها إذا تعارضت مع القرآن الكريم، أو لم ترجع إلى أصل فيه، وبعد ثبوت عدم تعارضها مع القرآن، وثبوت رجوعها إلى أصل فيه، فإنها تقبل باتفاق منهم، إذا كانت متواترة أو فى حكم المتواترة، وفى هاتين الحالتين يكون الخبر قطعى الثبوت، ولا تكون السنة متواترة عندهم إلا إذا كان رواتها كثيرين إلى حد لا يمكن معه أن يتّفقوا على الكذب، وأن يثبت العلم القاطع بأنه لم يجمعهم على الكذب جامع: من تواطؤ، أو ما يقوم مقامه.

(٢) وأما الناحية الثانية: فتتلخص فى أنهم ينزلون الأقوال والآراء الثابتة عن أئمتهم منزلة السنة المروية عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويحكمون بالفسق على المكذبين لهذه الآراء والأقوال، بل يرى بعضهم أن التكذيب بها يفقد الشخص الإيمان، ولا يفقده الإسلام، فيعامل معاملة المسلمين، ولكن لا يكون كامل الإيمان، (انظر الإمام الصادق للأستاذ أبو زهرة) وهذا مبنى على أنهم يعتقدون العصمة والإلهام فى أئمتهم، أما اعتقادهم العصمة فى هؤلاء الأئمة فاعتقاد غير سليم؛ لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء (عليهم الصلاة والسلام).

وأما الإلهام فمن الممكن أن يحدث للأصفياء من المؤمنين.

وفى الحديث الشريف: (إن فيكم ملهمين وإن منهم عمر) غير أن الإلهام لغير الأنبياء - مهما سمت منزلة صاحبه - لا ينبغى أن يكون أصلاً من أصول التشريع.

اللهم إلا أن يقال: إن هؤلاء الأئمة قد رسخت أقدامهم فى مختلف علوم القرآن والسنة، حتى إنهم لا يصدرون فيما يقولونه إلا عن بينة، وهذا هو ما يشير إليه كثير من علمائهم (انظر كتاب بين الشيعة وأهل السنة للدكتور على عبد الواحد وافى ص ٥٠).

عقائد الشيعة الجعفرية

يتفق الشيعة الجعفرية مع أهل السنة فى أصول العقائد الإسلامية، فهم يقرون بالشهادتين وأركان الإسلام، ويؤمنون بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره.

ولا يتخلف الشيعة الجعفرية عن أهل السنة فى هذا الصدد إلا فى بعض معتقدات لا يوهن أى معتقد منها أصلاً من أصول الدين، ولا يزحزحه عن أوضاعه.

وترجع أهم هذه المعتقدات إلى خمسة أمور، وهى الرجعة، وأعمال البشر وما يتصل بذلك من آرائهم فى الإرادة الإنسانية وعلاقتها بالقدر. والتقية، ومرتكب الكبيرة، والبداء.

١ - الرجعة

هى عودة الإمام الثانى عشر من أئمة الشيعة، وهو المهدى، وقدتغيب فى سرداب فى (سرّ من رأى) وهى سامراء قرب بغداد، وسيظهر فى آخر الزمان، ويملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً. والمهدى فى نظر الشيعة لم يمت، بل هو حى فى مخبئه.

والاعتقاد بالمهدى المنتظر سائد عند أهل السنة أنفسهم، ولكن على وجه آخر، وهو أنه سيظهر قبيل الساعة من الظاهرين الأحياء، فيملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً ، وظلماً، وينشر عقيدة الإسلام بين جميع سكان المعمورة؛ ويقتل المسيخ الدجال.. إلى آخر ما ينسب إليه من أعمال؛ وقد وردت فى غير البخارى ومسلم من كتب السنة؛ أحاديث كثيرة عن هذا المهدى المنتظر؛ وظهوره وأعماله، وقد ذهب العلامة ابن خلدون فى مقدمته إلى أن كثيراً من هذه الأحاديث موضوع، وأن ما بقى منها ضعيف كل الضعف.

٢ - أعمال العباد

يذهب الشيعة الجعفرية إلى أن العبد يحدث أعماله، ولكن بقدرة أودعها الله فيه؛ وبمقتضى علم الله عن أعمالهم وإثابتهم أو عقابهم عليها. فلا يصح فى نظرهم أن ينسب إلى الله تعالى أفعال العباد؛ لأن فيها قبيحاً لا يصح أن ينسب إليه. ولكن لا يقال أن العباد يخلقون أعمالهم، لأنه (سبحانه وتعالى) قد انفرد بالخلق والتكوين ولم يسم غيره خالقاً، ولو أن الذى يعتبر خالقاً هو الذى يخلق بقدرته الذاتية، والعبد فى أعماله إنما يعمل بقوة أودعها الله فيه، ومن استمد القوة من غيره لا يعد مبدعاً ولا خالقاً، وقد سماه الله تعالى فاعلاً وصانعاً وكاسباً ومكتسباً؛ إلى غير ذلك من الأسماء التى تصل إلى درجة الخلق والإبداع. وفى هذا يقول الشيخ المفيد : « إن الله (سبحانه وتعالى) أقدر الخلق على أفعالهم، ولكن أوجد لهم الحدود فى ذلك . ورسم لهم الرسوم، ومنعهم من القبائح بالأجر والتخويف والوعد والوعيد. فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم

يفوض إليهم الأعمال لمنعهم من قبيحها». ويقول فى موضع آخر: « أقول أن الخلق يفعلون ويحدثون ويخترعون ويصنعون ويكتسبون ولا أطلق عليها القول بأنهم يختلقون »[1].

ويذهب الشيعة الجعفرية كذلك إلى أن إرادة الله ملازمة لأمره، فلا يأمر بما لا يريد، ولا ينهى عما يريد، وقد قال فى ذلك الشيخ المفيد ناقداً الذين قالوا إن كل شىء بإرادة الله ما أمر به وما نهى عنه: (زعموا أن الله تعالى أمر العباد بما لم يرد، ونهى عما أراد، وقضى بظلم الفساد، وأحب الفساد، وكره من أكثر عباده الرشاد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا »[2].

٣ - التقية

التقية هى أن يخفى الشخص ما يعتقده، أو يصرح بغيره؛ اتقاء للأذى؛ أو للتمكن من الوصول إلى ما يريد من نصرة لدين الله أو للحق فى ذاته.

وقد أجازها الشيعة الجعفرية، وجعلوها من عقائدهم، واستشهدوا لذلك بما يؤيديهم من القرآن الكريم مثل قوله تعالى : (إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان). ومن السنة المطهرة، فقد سوغ النبى (عليه الصلاة والسلام) لآل ياسر أن ينطقوا بكلمة الكفر؛ دفعاً للأذى، ويبدو أن سبب لك تعرض الشيعة لكثير من الأذى والاضطهاد والقتل فى تاريخهم الطويل، وقريباً من هذا نجده عند الإمام الزركشى فى كتاب « البرهان فى علوم القرآن »، حيث تحدث عن النسخ فى القرآن، فقال: إن آية السيف لم تنسخ الأمر بالصبر فى الفترة المكية، ولكن كان المسلمون ضعافاً فى مكة فأمرهم الله بالصبر، ولما صاروا أقوياء فى المدينة أمرهم الله بالقتال فهذا من باب التدرج فى التشريع، فكلما كان المسلمون ضعافاً أمروا بالصبر، وكلما كانوا أقوياء أمروا بالجهاد والدفاع والقتال .

---

(١) أوائل المقالات وتصحيح الاعتقادات للشيخ المفيد ص ١٥٨ ، وأبو زهرة الإمام الصادق ص ٢١٩ ، ٢٢٠.

(٢) المرجع السابق .

٤ - مرتكب الكبيرة

يقرر الشيعة الجعفرية أن مرتكب الكبيرة لا يخرج بارتكابها عن الإيمان ولا عن الإسلام، بل يعد فاسقاً، وأنه من أهل النجاة بعد أن يستوفى عقابه على مقدار ما أذنب. وهذا إذا لم يتب إلى الله تعالى توبة نصوحا مما اقترف. ويرون أن الله قد يتفضل فيغفر لمن يسيء، وأن ذلك لا ينافى عدله تعالى ؛ لأن العدل هو الجزاء على العمل بقدر ما يستحق العامل، وهو لا يمنع التفضل، والظلم هو منع إعطاء الحق لصاحبه، والله تعالى متفضل رحيم غفار للذنوب - واستدلوا على آرائهم هذه بأدلة كثيرة مستمدة من القرآن الكريم، ونسبوها إلى الإمام الصادق (رضى الله عنه)، وقد نسبها إليه أبو جعفر القمى؛ الملقب عندهم بالصدوق، فى رواياته عنه فى كتابه « من لا يحضره الفقيه » الذى يعد من الكتب الأربعة المعتمدة لديهم، وأيده فى ذلك الشيخ المفيد فى كتابه المقالات إذ يقول : « اتفقت الشيعة الإمامية على أن الوعيد بالخلود فى النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبى الذنوب من أهل المعرفة بالله والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة. واتفقت الإمامية كذلك على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة لا يخلد فى النار، ولكن يخرج من النار إلى الجنة فينعم فيها على الدوام [1].

وهذا رأى معتدل يتفق مع رأى الجمهور، ويختلف عن رأى المعتزلة الذين يذهبون إلى أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين، وهو مخلد فى النار، ولا يسمى عندهم مؤمناً، وقد يسمى مسلما.

البداء

البَداء بفتح الباء معناه فى اللغة الظهور، فهو مصدر بدا الأمر يبدو أى ظهر.

ويطلق فى اصطلاح المتحدثين عن العقائد على معنيين : (أحدهما) أن يحدث للناس عكس ما كانوا يظنون أنه إرادة الله تعالى . والبداء بهذا المعنى متفق

---

(١) أوائل المقالات ص ٢٧، وأبو زهرة الإمام الصادق ٢٢٧.

عليه من الجعفرية والجمهور، وقد جَاء ذكره فى آى الذكر الحكيم، ومنها قوله تعالى : (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون)، (والمعنى الآخر) تغيير ما قدر الله سبحانه و تعالى لدعاء أو نحوه- وقد أقر ذلك بعض الشيعة الجعفرية ونسبوا القول به إلى الإمام الصادق.

وكثير من فقهاء الشيعة الجعفرية ينفون البداء عن الله (عز وجل)، ويرون أن ذلك يقتضى تغيير علم الله تعالى ، ولاشك أن ذلك نقص فى عمله، مما دلت الأدلة القاطعة على نفيه عن الله تعالى .

ذكر ذلك العلامة فضل الله الزنجانى فى التعليق على كتاب (أوائل المقالات) للشيخ المفيد ص ٢٩٤، وأبو زهرة فى كتابه الإمام الصادق ٢٣٤.

وذكر بعض العلماء الشيعة الجعفرية، أنه قد تكون الفائدة من البداء؛ الامتحان وتوطين النفس، كما فى قضية أمر إبراهيم للشفاعة، وبهذا التأويل يتفق رأيهم مع بعض آراء الجمهور، وإن كان عليها الكثير من المآخذ.

دعاء القنوت

نجد فى أدعية بعض أهل السنة ما يقرب من هذا الرأى، ففى دعاء القنوت الذى يردده الشافعية فى صلاة كل فجر (وقنا واصرف عنا شر ما قضيت فإنك تقضى ولا يقضى عليك).

السياسة والإمامه عند الشيعة الجعفرية

يذهب الشيعة الجعفرية إلى أن الإمامة الصحيحة، أى الخلافة عن الرسول (صلوات الله وسلامه عليه)، محصورة فى الإمام على بن أبى طالب، وأحد عشر إماماً متتابعين من نسله، وهم الحسن، فالحسين، فعلى زين العابدين، فمحمد الباقر، فجعفر الصادق، فموسى الكاظم، فعلى الرضا، فمحمد الجواد، فعلى الهادى، فمحمد الحسن العسكرى، فمحمد المهدى. والنص على الإمام الأول قد جاء

فى اعتقادهم من الرسول (عليه السلام) الذى أوصى للإمام على بذلك، وفضَّله على سائر الصحابة. وأما الأحد عشر إماماً من بعده فقد استحق كل منهم الخلافة بوصية من الإمام السابق له. وكان كل منهم الابن الأكبر للإمام السابق غالباً، ما عدا الحسين فإنه كان أخاً للإمام السابق له وهو الإمام الحسن. وبعض الشيعة يرون أن الإمام علياً أفضل من غيره، ولكن يجوز عند هؤلاء ولاية المفضول مع وجود الفاضل، وخصوصاً أن الإمام علياً عرف بشجاعته فى الحرب، وكان سيفه قد أرهق المشركين ونال منهم، فلعل من الحكمة أن يولى غيره، ليكون ذلك سبيلاً إلى جمع كلمة الأمة.

وهذه خلافات مكانها بطون كتب التاريخ، وقدوقى الله المسلمين آثارها، ومن الواجب علينا أن نداوى الجراح، ونبحث عن وسائل الوحدة والجماعة، ونحارب دواعى الفرقة والنزاع. قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ الأنفال ٤٦.

شهر رمضان

شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

تأتى هذه الشهور البيض كل عام، فيستقبل المؤمنون شهر رجب وهو شهر الإسراء والمعراج؛ وشهر شعبان وفيه ليلة النصف من شعبان، وهى كالفجر الجديد من رمضان، ثم يأتى شهر رمضان فينشط الناس للعبادة والطاعة؛ وصيام رمضان وصلاة التراويح وقيام الليل وتلاوة القرآن؛ وهذه العبادة تساعدنا فيما يأتى :

١ - اطمئنان النفس، وثقة المؤمن برضا الله عنه، وهذا يمدّنا بطاقة من السعادة والرضا، وفى الحديث الشريف: (إذا أحب الله عبداً نادى جبريل إن الله أحب فلاناً فأحبّوه فيوضع له الحب فى السماء والأرض).

٢ - العبادة حق الله على عباده، فهو (سبحانه) خلقنا ورزقنا وأحيانا وبيده الخلق والأمر فيجب أن نطيعه فى فعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

٣ - العبادة الحقيقية تسمو بنفس المؤمن؛ لأنه يناجى الله ويدعوه، وهذا يجعله مستقيماً طائعاً؛ بعيداً عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى :﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت ٤٥.

٤ - التردد على المساجد وأماكن العبادة، يمدّ الروح بطاقة من الإيمان والعزيمة والتوفيق؛ ويغسل النفس من الإ حباط والتردد والفشل، ويمدّها بالهداية والرضا؛ قال تعالى : ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ... ﴾ التغابن ١١.

شهر الصيام :

فى شهر رمضان أنزل الله القرآن؛ هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وفى هذا الشهر فرض الله الصيام، وجعل الله الصيام وسيلة عمليه لتربية الإرادة. وانتصار الروح، والأخذ بأسباب التقوى والإيمان؛ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ سورة البقرة ١٨٣.

وفى شهر رمضان شرع الله تلاوة القرآن، وذكر الله تعالى ، وصلاة التراويح والتعبد والدعاء؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ ﴾ سورة البقرة ١٨٦.

وشهر رمضان حافل بالذكريات الإسلاميه، فقد وقعت فيه غزوة بدر الكبرى التى انتصر فيها المؤمنون رغم قلة عددهم على أعدائهم المشركين؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ آل عمران ١٢٣.

وفى شهر رمضان، فُتحتْ مكة وهى أم القرى، ودخل الناس فى دين الله أفواجا.

وفى شهر رمضان عبر المؤمنون خطاً بارليف، ودمَّروا حصون العدوّ، وزلزلوا استحكاماتهم، وأمدّ الله المؤمنين بالنصر المبين.

وفى شهر رمضان صلاة التراويح ، وإخراج زكاة الفطر ؛ وإحياء ليالى العشر الأواخر من رمضان بالاعتكاف فى المساجد، ودعاء الله تعالى والتزود بذكر الله، ودراسة العلم والعزوف عن المعاصى ؛ والإقبال على الطاعات. والصيام مدرسة يتعلم منها الصائم الصبر والعزيمة ومراقبة الله، والتزود بالتقوى؛ وصفاء النفس ورقة القلب؛ والرغبة فى السموّ الروحى ، والعبادة الصادقة، فى ليلة القدر وما حولها من الليالى؛ فقد ضاعف الله الثواب ، ومنح الصائمين الفضل العظيم ؛ قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ سورة البقرة ١٨٥.

آداب الصيام :

من آداب الصيام تعجيل الفطر وتأخير السحور، وغضّ البصر عن النظر إلى الشهوات والعورات، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة، أو إيذاء الناس، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (الصيام جنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله، أو شاتمه، فليقل إنى صائم، إنى صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يقول الله تعالى : أيها العبد الصائم التارك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى أنت عندى كبعض ملائكتى).

زكاة الفطر :

هى صدقة تخرج فى أواخر رمضان خلال العشر الأواخر من رمضان، يخرجها الإنسان عن نفسه وعن زوجته وأولاده، يُخرج عن كل فرد من أفراد أسرته صاعاً من قمح، والصاع: قدح وثلث عند الحنفية؛ وقدحان وثلث عند الشافعية.

ويجوز إخراج القيمة المالية للقمح، بل هى أفضل إذا كانت أنفع للفقير.

وينبغى أن نهتم بمساعدة الفقراء، والاحتياط فى إخراج الزكاة، ومضاعفة العطاء؛ حتى يأتى العيد والمسلمون جميعاً فى حالة من السرور والتعاون.

وفى الحديث الشريف يقول النبى (صلى الله عليه وسلم) :

(من نفَّس عن مؤمن كربة؛ نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر؛ يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن أطعم جائعاً؛ أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كسَا عريانا؛ كساه الله من السندس الأخضر يوم القيامة؛ وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وغشيتهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده، والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه).

حصاد رمضان

يخرج المؤمن من صيام رمضان طاهراً نظيفاً قد سما بنفسه، وأطاع ربّه واستجاب لأمر الله، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (من صام رمضان إيماناً واحتساباً؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه). وصيام رمضان يعدل صيام عشرة أشهر فى الثواب، وإذا صام الإنسان ستة أيام من شوال؛ فإنها تعدل صيام ستين يوماً (أى صيام شهرين).

وفى الحديث الشريف يقول النبىّ (صلى الله عليه وسلم):

(من صام رمضان وأتْبعه ستا من شوال؛ فكأنما صام السَّنَة كلها).

أى أن المسلم يخرج من صيام الفرض بحصيلة من الصفاء والنقاء تجعله يحرص على أداء الفرض وأداء السنّه والنفل.

وإن طاعة الله لا تقتصر على شهر رمضان وحده، فربُّ رمضان هو رب شوال. إله الشهرين واحد وهو (سبحانه) مطلع وشاهد.

وإنما صيام رمضان رمز للطاعة والامتثال لأمر الله، فلا يجوز أن يبنى الإنسان فى رمضان، ويهدم البناء فى شوال، بل عليه أن يستمر فى العمل الصالح، كوسيلة لتكفير الذنوب ورفع الدرجات قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ، وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ هود ١١٤، ١١٥.

الأعياد فى الإسلام

الأعياد فى الإسلام رمز لإتمام أعمال رئيسية، وطاعات وعبادات.

عيد الفطر يأتى فى أعقاب صيام رمضان، والصيام ركن من أركان الإسلام، وفريضة محكمة، وفى نهاية رمضان يأتى عيد الفطر. حيث يتوَّج الصيام، وحيث ينادى الله تعالى المؤمنين، فيقول : (يا عبادى أمرتكم بصيام النهار فصمتم وبقيام

الليل فقمتم، وأوجبت الفطر فأفطرتم، اغدوا معاشر المسلمين إلى رب كريم، يمن بالخير ثم يعطى عليه العطاء الجزيل).

وفى ختام الحج: وهو نسك وطاعة وعبادة، وركن من أركان الإسلام، يأتى عيد الأضحى، وفيه تذبح الأضحية ويوزَّع لحمها : ثلث للفقراء، وثلث هدايا للأصدقاء؛ وثلث لصاحب الأضحية.

وفى الأعياد يتم التواصل والتزاور والتراحم والتعاطف، وفى الأعياد فرصة للراحة وترويح القلوب والنفوس؛ وإظهار الفرح والسرور، وصلة الأرحام، ومساعدة المحتاجين، وزيارة المريض، والصلح بين المتخاصمين، والأعياد فى الإسلام مواسم ربَّانية، لزيادة التماسك والترابط، وقوة البنيان بين المسلمين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ترى المسلمين فى توادّهم، وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) ويقول النبى (صلى الله عليه وسلم): (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً).

★★★

رحلة الحج ورأى فى وقت رمى الجمار

رحلة الحج ورأى فى وقت رمى الجمار

يحتاج الحاج إلى حسن النية، ورد المظالم، وتسديد الديون، ونية التقرب إلى الله تعالى والإخلاص فى أداء المناسك.

الحج السريع :

سأتكلم عن صورة عملية تؤدى فى عشرة أيام تقريباً كما يأتى : -

★ ركوب الطائرة وزيارة المدينة المنورة، والصلاة فى مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وزيارة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، مع الأدب والمحبة، وتذكّر أيام جهاده ودعوته ورعايته لأصحابه، وبناء مسجد المدينة ومسجد قباء، وغزواته فى بدر وأحد والخندق والحديبية وفتح مكه وغزوة خيبر، وغزوة حنين والطائف، وغزوة تبوك. وزيارة مشاهد المدينة ومحبة أهلها وتاريخها.

القِران :

يحرم المسلم بالحج والعمرة من المدينة المنورة، فيغتسل ويقص أظافره، ويزيل المعتاد إزالته من شعر جسمه، وينظف بدنه ثم يغتسل ويتجرد من ثيابه، ويلبس ثياب الإحرام بشكير (إزار) يغطى نصفه الأسفل، وبشكير (رداء) يغطى نصفه الأعلى.

ويركب الطائرة من المدينة أو السيارة فإذا حاذى مكان الإحرام من المدينة وهو ذو الحليفة (آبار على) كرر النية وقال : «اللهم إنى أريد الحج والعمرة فيسرهما لى وتقبلهما منى»، ثم يلبى ويقول : (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك، والملك لا شريك لك لبى) ويصلى ركعتين لله تعالى .

ويذهب إلى البيت الحرام فيطوف بالبيت ناوياً أداء العمرة، وهذا الطواف ركن من أركان العمرة، ثم يصلى ركعتين فى مقام إبراهيم. ويأتى الملتزم فيدعو ربه، ويستغفر ويندم، ويتوب، ثم يشرب من ماء زمزم، ثم يسعى بين الصفا والمروة، وهو

ركن من أركان العمرة، وبذلك تنتهى العمرة. ويظل فى إحرامه لأداء الحج، وفى يوم الثامن من ذى الحجة يذهب إلى منى ويبيت بها ليلة التاسع من ذى الحجة.

وفى يوم ٩ ذى الحجة يذهب إلى عرفات ويمكث فى خيمته مشتغلاً بالصلاة والدعاء والذكر وتلاوة القرآن.

ليلة العيد :

يتحرك بعد غروب الشمس يوم يعرفة، والأفضل التحرك بعد غروب الشمس بربع ساعة، إلى المزدلفة فيصلى بها المغرب والعشاء، ويستريح بها بعض الوقت.

أعمال يوم العيد وهى أربعة أعمال :

١ - رمى جمرة العقبة من منتصف ليلة العيد لكبار السن وأصحاب الأعذار، ويمكن الرمى بعد فجر يوم العيد عند أكثر الفقهاء، ويندب أن يكون بعد طلوع الشمس، ويمتد وقت رمى جمرة العقبة من فجر يوم العيد حتى فجر اليوم الثانى عند أبى حنيفة.

٢ - ذبح شاة، أو إيداع ثمنها فى الصرافة المختصة.

٣ - الحلق أو التقصير.

٤ - طواف الإفاضة بالبيت الحرام، ويسمى طواف الزيارة وطواف الركن.

الرمى فى أيام منى:

- يوم ١١ ذى الحجة : رمى الجمار الثلاث الصغرى والوسطى والكبرى، كل جمرة ترمى بسبع حصيات صغيرة مجموعها ٢١ حصاة.
- يوم ١٢ ذى الحجة : رمى الجمار الثلاث.
- يوم ١٣ ذى الحجة : رمى الجمار الثلاث لمن تأخر فى منى من الحجيج.
- وقت الرمى : من الزوال إلى غروب الشمس.

وأجاز عطاء، وطاووس، وبعض الفقهاء الرمى من طلوع الشمس إلى الفجر، (أى إلى فجر اليوم التالى)، وهذا الرأى أيسر على المسلمين فى هذه الأيام، التى اشتد فيها الزحام، وتضاعفت أعداد الحجيج، وقد كانت بالآلاف فصارت بالملايين.

وقد مات مئات من الحجيج تحت الأقدام أثناء رمى الجمرات فى الوقت المحدد من الزوال إلى الغروب فوجب اجتهاد الفقهاء، واختيار الرأى المناسب لكثرة الأعداد، واشتداد الزحام، وموت المئات .

وتمديد وقت رمى الجمار من طلوع الشمس إلى فجر اليوم التالى، يزيل هذه الضرورة، ويدفع عن المسلمين هذه الكروب، وييسر على المسلمين أداء المنساك. فأداء هذا المنسك وهو رمى الجمار واجب، وعدم تأخير الرمى إلى الليل سنة عند الشافعية والحنابلة، ولو شاهد هولاء الأئمة أعداد الحجيج وموت مئات المسلمين، لأفتوا بجواز الرمى للجمار من طلوع الفجر إلى فجر اليوم التالى، فى يوم العيد وفى أيام التشريق الثلاثة. أى لأفتوا باستمرار رمى الجمار خلال ٢٤ ساعة، طوال اليوم والليلة التى تليه.

وفى الحديث الشريف : (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا).

والأمر إذا ضاق اتسع، والمشقة تجلب التيسير، والضرر يزال، والضرورات تبيح المحظورات، ولكنها تقدر بقدرها. وقال (سبحانه وتعالى) : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ المائدة ٦.

وجهة نظر:

١ - المبيت بمنى ليلة عرفة سنة عند الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، والسيدة عائشة (رضى الله عنها) ذهبت من مكة إلى عرفات مباشرة، ويباح الاقتداء بها خصوصاً فى هذه الأيام .

٢ - الإحرام بالعمرة والحج معاً فيه أداء لنسكين عظيمين فى وقت واحد، قال تعالى : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ .

٣ - قال العلماء: العمرة سنة مؤكدة عند المالكية والحنفية، وفرض عند الشافعية، وواجبة عند الحنابلة. وتجوز فى أى وقت من أوقات العام إلا أنها تكره تحريماً فى يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق.

٤ - أقترح على أصحاب الحج السريع الإحرام بالحج والعمرة معاً وأداء العمرة قبل يوم عرفة (أى الطواف بالبيت الحرام والسعى بين الصفا والمروة) بنية العمرة. ثم الدخول فى مناسك الحج، والذهاب إلى عرفات، والمبيت بالمزدلفة، أو المرور بها مع ذكر الله تعالى، ثم رمى الجمار، والطواف بالبيت الحرام طواف الإفاضة. ثم التحلل من الإحرام بالعمرة والحج معاً، وهذا الأمر فيه تيسير ويسمى فاعله قارناً، أى قرن العمرة مع الحج، ويلزمه ذبح شاة شكراً لله على أداء النسكين معاً، أو دفع ثمن الشاة عند الصيارفة المختصين.

٥ - أدعو المسلمين أن يترفقوا ببعضهم البعض، ولا يزاحموا عند الحجر الأسود، ولا عند أداء المناسك، ويعلموا أن القصد من رمى الجمار ذكر الله تعالى، قال تعالى : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٠٣.

٦ - ما يجوز للمحرم : يجوز للمحرم أن يدخل الحمام ويغتسل لعذر أو لغير عذر، ولا يستعمل الصابون ذا الرائحة، ويجوز للمحرم فقء الدمل وخلع الضرس، والنظر فى المرآة، وشد الحزام على الوسط، ولبس الخاتم فى اليد والاكتحال، ووضع المرهم والقطرة فى العين، ويجوز له أن يستظل بأى شىء كالبيت والمظلة والخيمة، وله أن يحمل السلاح، وله أن يصطاد من صيد البحر ما يشاء، وله أن يذبح الحيوان المتسأنس كالإبل والبقر والغنم.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

★★★

تيسير الفتوى، ورعاية مصالح الأمة

تيسير الفتوى، ورعاية مصالح الأمة

تصدر بعض الفتاوى من أشخاص فضلاء، لهم منزلتهم السامية، ويقتدى بهم كثيرون، وتحمل الفتوى طابع التشدد فى الدين.

ومن أمثلة ذلك ما يأتى :

١ - النقاب (غطاء وجه المرأة) هناك من الفقهاء من قال: إنه واجب، ومنهم من قال: لا يؤمر به ولا ينهى عنه، ومنهم من قال: غير لازم مطلقاً إلا عند الفتنة، ومنهم من قال : وجه المرأة ليس بعورة، والنقاب لم يأمر به الإسلام.

٢ - الصلاة خلف إمام (مسبل ثوبه) .

من الفقهاء من قال: إسبال الثوب حرام إذا قصد به الخيلاء والتكبر، فإذا لم يقصد به التكبر: فليس بحرام، قال (صلى الله عليه وسلم): (من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة) أو كما قال.

وهناك من تشدد وذهب إلى أن زيادة الثوب عن الكعبين حرام سواء قصد الخيلاء أو لم يقصد.

ولو صلى إماماً فصلاته باطلة، وجميع من صلى خلفه صلاته باطلة.

٣ - الاعتماد على الفلك والحساب عند رؤية هلال رمضان وشوال وذى الحجة.

من الفقهاء من أباح الاعتماد على الفلك والحساب؛ لأنه رؤية عقلية، والعرب كانوا أمة أمية لا تعرف الحساب.

وقد تقدم علم الفلك واخترعت المراصد؛ وأصبح الاعتماد عليها لازماً مع تقدم العلم، وخصوصاً فى أيام الغيم والرعد والمطر.

٤ - من أصبح جنباً فى نهار رمضان وجب عليه إعادة صيام هذا اليوم.

ومن الفقهاء من لا يرى إعادة اليوم.

٥ - سماع الموسيقى حرام؛ لأنها تجرّ إلى الزنا. ومن الفقهاء من يرى أن الموسيقى والغناء كلام وعمل، حلاله حلال ، وحرامه حرام. فالكلمات المفيدة والغناء الجيد، والموسيقى الراقية، حلال بقدر ما ترفع الذوق والحس، أو مباح على الأقل.

نحن فى زمن تقاربت فيه البلاد والقارَّات والأديان والشعوب، وصار العالم قرية واحدة.

تتسابق الأديان إلى عرض فكرها، وتسامحها، ومبادئها، وتطوير آدابها، وقيمها؛ لتكون عنصراً من عناصر البناء والتحديث، والمساهمة فى إقامة دولة عصرية حديثة تعتمد على القيم والمبادئ السامية، وتختار من آراء الفقهاء ما يناسب العصر؛ فالفقه قانون الحياة، والحياة متطورة فينبغى أن يتطور الفقه بما يناسب شرع الله من جهة، وما يوائم واقع الناس من جهة أخرى؛ لأن أحكام الله إنما قصد بها مصالح الناس وتيسير أمورهم، ودفعهم دفعاً إلى الحضارة والتقدم والعمل، ومسابقة الأمم الأخرى عقلاً وفكراً وعملاً .

والله ولى التوفيق.

★★★

رئاسة القسم الأكاديمي بالجامعة

« مسئولية رئيس القسم في ضوء الأحكام والآداب الإسلامية »

(مسئولية رئيس القسم فى ضوء الأحكام والآداب الإسلامية)

رئاسة القسم الأكاديمى بالجامعة :

رئيس القسم : عضو هيئة التدريس يقوم بواجبه الأكاديمى، فى التدريس ورعاية الطلاب وإرشادهم، ومهمة البحث العلمى وتطويره، والمشاركة فى خدمة المجتمع. ثم يقوم برئاسة القسم بكفاءة واقتدار، فهو قائد يمسك بزمام القيادة والتوجيه، وهو إدارى يتعين عيه تصريف شئون القسم، متعاوناً مع أعضاء القسم فى التدريس للطلاب ورعايتهم، وحل مشكلاتهم. وتصريف الأعمال اليومية، إضافة إلى رئاسة اجتماعات القسم، والتوسط بين القسم وإدارة الكلية وإدارة الجامعة، وتحتاج إدارة القسم إلى ما يأتى :

(١) دماثة الخلق والتراحم والتعاطف مع زملائه فى القسم، وربما زاد ذلك إلى المحبة والمودة، وهذا من شأنه أن يحقق الود والألفة، والتعاون بين الجميع فى تحمل تبعات القسم.

(٢) **الحزم والعزم، عند الحاجة إلى ذلك.**

(٣) الشورى وقد وصى بها القرآن الكريم فى السُّور المكية، والسُّور المدنية، وفى القرآن سورة تسمى باسم (سـورة الشورى) حيث يقول (سبحانه): ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ... ﴾ الشورى ٣٨، ويقول تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴾ آل عمران ١٥٩، وقد كان النبى (صلى الله عليه وسلم) أكثر الناس مشورة. وفى غزوة بدر استشار المسلمين ثلاث مرات:

الأولى: فى خروجه للمعركة حين قال : «أشيروا على أيها الناس».

الثانية: حين أشار عليه الحباب بن المنذر باختيار مكان المعركة قريباً من الماء.

الثالثة: حين استشار أصحابه فى شأن الأسرى، هل يقتلهم أم يأخذ منهم فدية؟

وقد استشار المسلمين قبيل معركة أحد، فأشاروا عليه بالخروج إلى المشركين عند جبل أحد، واتبع الخلفاء هذا المنهج، فاستشار أبو بكر المسلمين فى تولية عمر ابن الخطاب الخلافة، واستشار عمر المسلمين فى تقسيم أرض السواد بالعراق، وعرض عليهم ألا يقسمها بين الغانمين، وأن تبقى الأرض بيد أهلها، وأن يوضع عليهم الخراج، فقال له أهل الحل والعقد : نعم ما رأيت.

وفى هذا دليل على تغير الأحكام بتغير الأزمان، وعلى رعاية المصلحة، وأنه أينما توجد المصلحة الحقيقة المشروعة فثم شرع الله، كما يقول د/ محمد يوسف موسى فى كتاب نظام الحكم فى الإسلام.

٤ - المساواة والعدل :

إن مصداقية رئيس القسم تتجلى فى عدالته، فى توزيع الأعمال والأعباء والمغانم والمغارم، لا يقرِّب شخصاً؛ لقرابة أو هوى، ولا يبعد شخصاً؛ لحساسية أو أمور خاصة، إنما يقضى بين الناس بالحق والعدل، وبما يستحقونه بدون اتباع للهوى. قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ...﴾ النساء ١٣٥، ويقول (سبحانه) : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ النحل ٩٠ . كما يقول (سبحانه وتعالى) : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ...﴾ النساء ٥٨، ويقول (عز شأنه) : ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المائدة ٨.

وفى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحياة صحابته نماذج عملية، فى ترجمة العدل إلى سلوك، وفى اتباع الحكمة، وبيان الحقائق عندما تظهر مشكلة.

بعد توزيع غنائم حنين والطائف بين المهاجرين دون الأنصار، ولم يأخذ

الأنصار من غنائم حنين، إلا رجلين فقيرين من الأنصار، حزن الأنصار وتكلموا، وقالوا: وجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أهله وعشيرته، فأعطاهم وحدهم الغنائم، فقام (عليه الصلاة والسلام) خطيباً فى الأنصار، موضحاً لهم حقيقة الأمر، ثم ذكر فضائل الأنصار حتى بكوا واخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقتص من نفسه، ويقول سيدنا أبو بكر الصديق فى خطبته الأولى التى جعلها دستوراً لحكمه : (الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ......).

وسار عمر بن الخطاب بين الناس جميعاً بالعدل، لا فرق بين حاكم ومحكوم، ولا بين وال ورعية، وقصة إنصافه لقبطى مصرى معروفة، حيث أعطاه الدرة وقال له: «ضرب ابن الأكرمين، فضربه حتى اشتفى، ثم قال عمر: يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» ؟

صحيح أن رئيس القسم له صلاحيات معينة، ولكنه فى حاجة إلى مراقبة الله تعالى ، وتقواه، وعندئذ سيجد الجميع يتسابقون إلى القيام بواجباتهم، وعندما يقوم كل إنسان بواجبه، يتحول القسم إلى خلية نحل تؤدى عملها، وتفرز رحيقاً حلواً، ويكون بين النفوس المودة والمحبة والصفاء.

٥ - حسن اختيار المعاونين :

لا يستطيع رئيس القسم أن يلى جميع الأعمال بنفسه، بل هو فى حاجة إلى إقدار الزملاء علي القيام ببعض الواجبات، والمشاركة فى تحمل المسئولية، وتولى رئاسة اللجان أو الوحدات، وينبغى أن يكون الاختيار أساسه الكفاءة، والأمانة والقدرة على تيسير العمل.

قال تعالى : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ القصص ٢٦، والقوة تعنى القدرة على القيام بالعمل، والأمانة تعنى عدم الغش، وعدم الفساد، ومراقبة الله وحده لا مراقبة الناس، قال تعالى : ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا

قَلِيلاً ﴾ سورة المائدة ٤٤. وروى البخارى ومسلم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة).

إن إخلاص رئيس القسم فى عمله، ابتغاء وجه الله تعالى ، يجعله سعيداً كلما رأى بوادر التقدم والفلاح والتوفيق بين أعضاء قسمه، وكلما كان مستعداً أن يقدر أعضاء القسم، ويذكر نشاطهم وإسهامهم معه، ويعرف لكل ذى فضل بفضله.

إن تنمية المحبة والمودة والتسامح والتعاطف بين أعضاء القسم، مسئولية إدارية وأخلاقية، وهى تنمى روح التعاون، وتؤدى إلى التنافس الشريف فى القيام بالواجبات، وترى بين أعضاء القسم المحبة والمجاملة والأخوة، التى وصى بها الإسلام، قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ سورة الأنفال ٦٣. وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ما نقص مال من صدقة، وما تواضع أحد لله إلا رفعه، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، فاعفوا؛ يعزكم الله). وروى البخارى فى صحيحه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقال : (لا تحاسدوا، ولا تحاقدوا، ولا تباغضوا؛ وكونوا عباد الله إخوانا).

٦ - ضبط النفس :

رئيس القسم ربان سفينة، تحتاج إلى الحكمة واليقظة وحسن القيادة، واللباقة والكياسة وضبط الأعصاب، والهدوء والاستقرار النفسى، وإذا فقد الإنسان أعصابه، فقد حكمته واتزانه.

جاء رجل للنبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله، أوصنى، قال : «لا تغضب»، فكرر مراراً قال : (لا تغضب إن الغضب جمرة من الشيطان يلقيها فى جوف الرجل ، ألا ترون إلى انتفاخ أوداجه، واحمرار عينيه، فإذا غضب أحدكم وكان قائماً فليجلس، فإن لم يذهب عنه الغضب فليتوضأ، أو ليغتسل؛ فإن الغضب من الشيطان، والشيطان من النار، ولا يطفئ النار إلا الماء).

نحن نعيش فى الحياة الدنيا، وسنجد فيها نقائص مثل نكران الجميل، ومقابلة الإحسان بالإساءة، وإشاعة السوء، وفى الحديث الشريف: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبى ضمضم، قيل : وما بال أبى ضمضم يا رسول الله؟ قال : كان يصبح فيقول : (اللهم إنى تصدقت بعرضى على عبادك) ».

وفى القرآن الكريم : ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ سورة فصلت ٣٤ - ٣٥.

يذكر الأستاذ عباس العقاد أنه وطن نفسه مبكراً على تحمل الأمور وعدم الانفعال، إذ قال لنفسه مسبقاً : «فى الناس نذالة، فى الناس نكران للجميل، فى الناس شح وبخل، وفى الناس حقد وحسد، فى الناس غيبة ونميمة وهكذا .... »، فإذا وجد إساءة ممن أحسن إليه، ألحقها بنكران الجميل، وإذا وجد عملاً صبيانياً من رجل كبير، قال هذا تحت بند النذالة، وهكذا ... يلحق كل نقيصة بالعنوان الذى حدده مسبقاً لطبائع البشر.

٧ - الاستعداد للتضحية برئاسة القسم:

عضو هيئة التدريس باحث ومفكر، وكاتب وخبير فى تخصصه، وكلما كان مستعداً للتضحية برئاسة القسم، والعودة إلى البحث والتفرغ الأكاديمى كان أفضل وأحكم فى تصرفاته.

بعد سنتين من رئاستى للقسم عملت عملية دقيقة تحتاج لعمل محدود، فكتبت استقالتى من رئاسة القسم راغباً فى التفرغ لعملى كأستاذ؛ إلى جوار وجود بعض العوائق المحبطة فى القسم فى ذلك الوقت، ولما صعدت الاستقالة إلى الإدارة، وعد المسئولون بالمساعدة فى إزالة جميع العوائق؛ وأنجز حرٌّ ما وعد، وسارت الأمور رخاء بحمد الله وفضله.

إن العائد المادى، لا يكافئ الجهد المبذول فى رئاسة القسم، ويوجد من لا يتقاضى عائداً أصلاً، لكن هناك عائداً معنوياً، وسعادة النفس فى أداء واجب شبيه

بفرض الكفاية، إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين. وقد علمنا الإسلام القناعة والرضا، واليقين الجازم بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فالمال رزق، والملك رزق، والتقوى رزق، وكذلك الزوجة والأولاد ورئاسة القسم، والتفرغ، كلها أرزاق يقسمها الرزاق (سبحانه وتعالى)، وقال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ سورة الذاريات ٢٢-٢٣.

وعن عبد الله بن عباس (رضى الله عنه) قال : كنت رديف النبى (صلى الله عليه وسلم) على بغلته فقال لى : «يا غلام، هل أعلمك كلمات ينفعك الله بهن فى الدنيا والآخرة، قلت : بلى يا رسول الله، علمنى، فقال : يا غلام، (احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء، لن ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف) ».

٨ - التواضع :

التواضع صفة محبوبة، هى وسط بين الذلة والتكبر، والفضيلة وسط بين رذيلتين، وفى الحديث الشريف: (إن الله أوحى إلى أن تواضعوا؛ حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد)، وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل : (يا داود من تواضع لى هكذا رفعته هكذا، ومن تكبر على هكذا وضعته هكذا).

ومن أمثال العرب (مثل المتكبر كالرجل فوق النخلة العالية يرى الناس صغاراً وهم يرونه صغيراً) ومن وصايا العرب (تواضع لقومك يرفعوك).

إن روح الإسلام تحثنا على التواضع والمجاملة والعفو والصفح، وتوفير الكبير واحترام الصغير، ومحاولة اكتشاف المواهب، وتوزيع الأدوار، فرئيس القسم الناجح هو الذى يفجر الطاقات، ويستثمر المواهب، ويبحث عن منابع الخير فى كل فرد من أفراد قسمه، ويغلب الروح الجماعى، والقيادة الجماعية، وكلما ازداد تواضعاً زاد

رفعة ومحبة، ومن حكم آبائنا : (عجبت لمن يشترى العبيد بماله، كيف لا يشترى الأحرار بحسن فعاله) ؟.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

٩ - **الاقتداء بالرسول (صلى الله عليه وسلم) :**

فقد كان أحلم الناس، وأصدق الناس، وأعف الناس، كان أشد حياء من العذراء فى خدرها، كان رحيماً برعيته، متسامحاً، كريماً، قال تعالى : ﴿بالمؤمنين رؤف رحيم﴾، وقال (سبحانه): ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾. وفى الحديث الشريف: (إن أحبكم إلى وأقربكم منى منازل يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وإن بغضكم إلى وأبعدكم منى منازل يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون)، قيل: وما المتفيهقون يا رسول الله؟، قال: (المتكبرون).

ويقول أنس بن مالك (رضى الله عنه) : (خدمت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عشر سنين فما قال لى أف قط ! ولا قال لشىء صنعته لم صنعته؟ ولا لشىء تركته لم تركته؟ ولا لامنى نساؤه إلا قال دعوه، فإنه لو قضى به لكان).

إن هذه الأخلاق الكريمة السمحة، وهى التواضع فى غير ضعف، والحزم فى غير عنف، والكرم والسخاء، والشجاعة النفسية والأدبية، وتقوى الله، والزهد فى الدنيا، والتفكر فى ملكوت السموات والأرض، والدعوة إلى الحق، واستخدام الحكمة والموعظة الحسنة، كل هذه الصفات وأمثالها مقومات رئيس القسم المتميز، الذى يحبه إخوانه ويؤثرونه على أنفسهم، يقول أمير الشعراء شوقى فى مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) :

وإذا سخوت؛ بلغت بالجود المدى ... وفعلت ما لا تفعل الأنواء
وإذا خطبت؛ فللمنابر هزة ... تعرو الندىَّ وللقلوب بكاء
وإذا رحمت؛ فأنت أم أو أب ... هذان فى الدنيا هما الرحماء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته؛ ... فجميع عهدك ذمة ووفاء

ويقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ...﴾ سورة الأحزاب ٢١. ويقول (سبحانه) : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾، ومن وصية أبى بكر لعمر (رضى الله عنهما) : (يا عمر إن الحق ثقيل، ولكن مآله هنىء، وإن الباطل خفيف، ولكن مآله وبىء).

١٠ - الاستفادة بالتراث والشعر والحكم :

فى تراثنا العربى من الوصايا والحكم، ما يعتبر زينة للمرء، وقيماً ترشد الإنسان إلى كريم السجايا، وفضائل الأعمال، وفى الحديث الشريف: (إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة) ويقول عمر بن الخطاب: (علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل، ورووهم ما يجمل من الشعر) ومن الشعر الجميل هذه الأبيات :

صن النفس، واحملها على ما يزينها؛ تعش سالما؛ والقول فيك جميل

ولا ترين الناس إلا تجملا نبا بك دهر، أو جفاك خليل

وإن ضاق رزق اليوم؛ فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول

يعز غنى النفس إن قل ماله، ويغنى غنى المال، وهو ذليل

ولا خير فى ود امرئ متلون، إذا الريح مالت؛ مال حيث تميل

جواد، إذا استغنيت عن أخذ ماله، وعند احتمال الفقر عنك بخيل

فما أكثر الإخوان حين تعدهم، ولكنهم فى النائبات قليل

ومن روائع شعر المتنبى قوله :

وغير فؤادى للغوانى رمية، وغير بنانى للزجاج ركاب

وللسرِّ منى موضع لا يناله صديق، ولا يطغى إليه شراب

وللخود منى ساعة، ثم بيننا فلاة إلى غير اللقاء تجاب

وما العشق إلا غرة، وطماعة، يعرض قلب نفسه فيصاب

تركنا لأطراف القنا كل شهوة؛ فليس لنا إلا بهن لعاب

والله ولى التوفيق، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

النهوض بمناهج تدريس العلوم الشرعية

بحث قدِّم إلى المؤتمر العالمى عن (القيم والاتجاهات فى العلوم والتكنولوجيا)

(كوالامبور - ماليزيا - الجامعة الإسلامية بماليزيا - كلية الهندسة)

(الذى انعقد فى المدة من ٣-٦ سبتمبر ١٩٩٦م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد ..

يقسم العلماء المراحل التى مر بها الفقه الإسلامى؛ وبالتالى العلوم الشرعية عامة إلى خمس مراحل أو أدوار: وهى دور النشأة والنمو، ودور النضج والكمال، ثم دور بداية التقليد والجمود، ثم دور شدة التقليد والجمود، وأخيراً دور اليقظة الفقهية والفكرية فى العصر الحاضر.

١ - دور النشأة والنمو ويمتد من البعثة المحمدية إلى سنة ١٠٠هـ.

وهو دور الكتاب والسنة والاجتهاد، وفى هذا الدور غلب على أهل الحجاز التزام النصوص، والاعتداد بالحديث والبعد عن الرأى؛ وغلب على أهل العراق استخدام الرأى والعقل؛ والتوسع فى فهم المعنى وحمل النظير على النظير.

٢ - دور النضج والكمال من سنة ١٠٠هـ- ٣٥٠ هـ.

٣ - دور بداية التقليد والجمود، ويمتد من سنة ٣٥٠هـ إلى سقوط بغداد فى يد التتار سنة ٦٥٦هـ.

٤ - دور التقليد المطلق والضعف من سنة ٦٥٦هـ إلى ظهور المجلة العدلية بتركيا سنة ١٢٨٦ هـ.

وقد نادت هذه المجلة بأن الفقه قانون الحياة، والحياة متطورة متغيرة، ويجب أن يتطور الفقه، بما يناسب شرع الله من جهة؛ وما يوافق مصالح الناس من جهة أخرى؛ كما يجب فتح باب الاجتهاد وخصوصاً الاجتهاد الجماعى؛ نحو ما ينشأ من ظروف ومتقتضيات، وأمور جديدة وبيان موقف الشريعة نحوها.

٥ - دور اليقظة الفقهية من سنة ١٢٨٦هـ إلى الوقت الحاضر، وفى هذا الدور ظهر المجتهدون والداعون إلى تقنين الفقه الإسلامى، ونشأت رغبات قوية فى مصر، وسوريا، والعراق، والكويت، وتركيا، وماليزيا، والفلبين، وغيرها تدعو إلى الاستفادة من المذاهب المختلفة، والتيسير على الناس، ومسايرة ركب الحضارة والتقدم؛ والإحاطة بما أحرزه العالم من تقنيات متطورة، وعلوم وأبحاث فى الحرب والسلم، والفضاء والبحار؛ والتربية والهندسة والطب والعلوم وسائر المعارف؛ إن التقدم العلمى والسياسى والحربى والاقتصادى واجب على الأمة؛ حتى تكون عزيزة الجانب قوية مرهوبة لا تقهر؛ ولن يتم ذلك إلا بالعلم ودراسة التقنية والتقدم، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

مناهج العلوم الشرعية

مرت العلوم الشرعية بما يمر به الكائن الحى، والعلوم الشرعية كانت قوية أيام قوة الأمة وتقدمها، والتزامها بكتاب الله وسنة رسوله، وهدى السلف الصالح، أى فى القرون الأربعة الأولى، ثم بدأ الضعف التقليدى والجمود؛ وسقطت بغداد فى يد التتار، واشتد الضعف الفقهى والفكرى، وظهرت الإسرائيليات والخرافات فى كتب التفسير؛ ولا يزال فى تفسير الخازن، بل والطبرى، وابن كثير، والثعالبى، وغيرهم، خرافات وأساطير وإسرائيليات، وتصور خاطئ عن الكون والجهاد، ودراسة العلوم والتكنولوجيا.

وظهرت طائفة من دارسى العلوم الشرعية، أفقهم محدود، وصلتهم بالحياة والمجتمع محدودة، فضلاً عن ضعف الصلة المستنيرة بالعالم والعلوم المختلفة. إن عدداً كبيرا من العلوم الشرعية ترى أن المعرفة مقصودة لذاتها، ويُدرَّس فيها كُتبٌ مضت عليها أحقاب طويلة من السنوات، وقدتطورت المناهج وأصول التربية، وطريقة العرض والاستنباط، وهذه العلوم الشرعية وكتبها كما هى، وإذا تغيرت فى الشكل والمظهر؛ فهى فى حاجة إلى التغيير فى الحقيقة والمخبر.

النقلة المطلوبة

نحتاج إلى صحة النية، وابتغاء وجه الله تعالى ، وهو (سبحانه) المربى الأول والمعلم الأول؛ نحتاج إلى الالتصاق بالقرآن مباشرة، وإعادة الاعتماد على كتب الشريعة التى ظهرت فى القرون الهجرية الأربعة الأولى، حيث قوة المسلمين وعظمتهم، واتباعهم تعاليم دينهم، وحيث وجدت الفتوحات، والأئمة البارزون فى الفقه والتفسير، والحديث والعلوم الاجتماعية، والطبية وعلوم الكون والطبيعة والكيمياء، والجغرافيا والفلك وغيرها من العلوم العلمية والعملية.

وفى مراحل التقليد والجمود التى امتدت ألف عام؛ كانت تظهر ومضات من المجتهدين والعلماء المتفوقين، مثل: ابن تيمية، وابن القيم، والعز بن عبد السلام، والإمام النووى، وجمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وغيرهم، فلا ينبغى إهمال كتب هؤلاء الأئمة الأفذاذ.

مع الإحاطة بأننا فى حاجة إلى تغيير الهدف من هذه الدراسات، الهدف هو تكوين الإنسان الصالح المزود بالمعلومات والمهارات والتجارب التى تمكنه من عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله، والقيام على استخلاف الله له فيها أينما وجد، وحينما وجد؛ إن العلم فى منهج القرآن، هو معرفة قوانين الله فى الكون وتطبيقاتها فى عمارة الحياة وترقيتها.

ولذلك تتكاتف جميع العلوم الشرعية، والاجتماعية، والكونية، والعلمية، والهندسية، والطبية فى إيجاد المسلم المستنير، الذى يجعل هدفه وجه الله؛ وصدق الله العظيم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ...﴾ سورة البقرة (٢٨٢).

وتطبيق ذلك يحتاج إلى الآتى :

١ - إعادة تصميم مناهج العلوم الشرعية، بطريقة تتكامل مع العلوم الإنسانية والكونية.

٢ - إعادة تصميم مناهج العلوم الطبيعية والرياضيات، والتاريخ والجغرافيا، والسياسة والاقتصاد، والفنون والآداب، بحيث تساهم فى إدراك الناشئة

لقوانين منهج الله فى الكون، وتطبيقاتها فى واقع الحياة. إن مناهج الدنيا تهتم بالتفوق العلمى والبدنى، من أجل القدرة على الاستعمار والغلبة، والسيطرة وإيجاد مناطق النفوذ، والتفوق المادى.

أما منهج الإسلام فهو منهج فريد، يرى عالمية الدعوة الإسلامية؛ ويهتم بإعداد الإنسان الصالح أيًا كان موطنه؛ الإنسان القادر على القيام بحق الخلافة؛ والمساهمة بإيجابية وفاعلية فى عمارة الأرض وفق منهج الله.

أهداف منهج تدريس العلوم الشرعية

من أهم هذه الأهداف تسعة أهداف هى ما يأتى :

١ - ترسيخ عقيدة الإيمان بالله، والأخوة فيه : إن الإيمان بالله خالقاً، ورازقاً بيده الخلق والأمر، تطاع أوامره، وتجتنب نواهيه - هذا الإيمان هو حجر الزاوية فى تحول المسلم إلى همة وعزيمة؛ ليصبح قدراً من أقدار الله فى هذه الحياة، والأخوة فى الله والاعتصام بحبله، والبعد عن الشقاق والنزاع والاختلاف، هذا الأمر يجمع القلوب نظيفة نقية بعيدة عن العصبية والعنصرية.

٢ - فهم حقيقة الكون: لقد خلق الله السماء والأرض والجبال والبحار، والنبات والماء والإنسان والحيوان، وقد استخلف الله الإنسان فى عمارة الأرض، وعمارة الكون، وجعله سيداً مكرماً، وأمره بالإصلاح ونهاه عن الفساد، من أجل ذلك نحن المسلمين فى صلح ومودة ومحبة لهذا الكون، الذى خلقه الله بقدرته، نحافظ عليه، ونسهم فى تنميته وترقيته، وفى المحافظة على البيئة، وهى الكون الواسع، والمحافظة على ما حولنا من الأرض والمياه والتربة والهواء، والمحافظة على أجسامنا ونظافتها، ونظافة منازلنا؛ والمساهمة فى تكوين مجتمع نظيف مادياً ومعنوياً؛ قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ سورة البقرة/٣٠ وقال عز شأنه : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ سورة الإسراء/ ٧٠.

٣ - فهم حقيقة الحياة : لابّد أن تعمل مناهج العلوم الشرعية على فهم حقيقة الحياة، بما فيها عالم الغيب وعالم الشهادة؛ إن الحياة ليست إلهاً، ليست قوة مدبرة فى ذاتها؛ كذلك ليست تلقائية وجدت مصادفة؛ وإنما هى خليقة أنشأها الله (سبحانه) بقدر، وتمضى كذلك وفق قدر، وهى مودعة خصائصها الذاتية، التى تفرقها عن الموت، أعطاها هذه الخصائص، الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى، والذى يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى؛ والذى يبدأ الخلق ثم يعيده؛ قال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ...﴾ سورة الملك ٢.

كذلك لابد أن تفهم الأجيال أن الطبيعة ليست إلهاً، ليست هى التى خلقت نفسها، وليست هى التى خلقت الحياة، إنما الله (سبحانه) هو الذى خلق الطبيعة؛ وجعلها مناسبة لظهور الحياة؛ وهيأ الأرض لنوع الحياة الذى نشأ فيها، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾ سورة الأنبياء ٣٠، وقال (سبحانه) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ...﴾ سورة النور ٤٥.

ويراد بالماء هنا ماء المنى الذى يخلق منه الذكر، والأنثى، ويمكن أن يراد به ماء الأمطار والأنهار الذى يسقى الزرع والحيوان والإنسان. ولا تتم الحياة فى أى مكان إلا بوجود ذلك الماء؛ إن هذه الحياة بيد القدرة الإلهية التى نحيا فى ظلها وعطفها، فالله جعل هذه الحياة على ظهر هذه الأرض، وقدر فى الأرض أقواتها وأرزاقها، وأمرنا أن نسير فى مناكبها؛ بالزراعة والصناعة والتجارة، والتقنية والعلم والطب والفلك والهندسة؛ وبهذا تتآخى العلوم الشرعية، والعلوم العملية، بل وسائر العلوم؛ لأن الله حين استخلف هذا الإنسان فى الأرض؛ أوجد الله فيه العقل والإرادة والاختيار، ويسر له الابتكار والاختراع، واستنباط المجهول من المعلوم، والاستفادة بتجارب السابقين؛ والبدء من حيث انتهى الآخرون.

تلك هى العلوم والمعارف التى أودعها الله فى الإنسان وهو المعلم الأول قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ...﴾ سورة البقرة ٣١.

أى ميز الإنسان على سائر المخلوقات؛ بالعقل والإرادة والاختيار؛ والقدرة على الاختراع والابتكار والاستنباط. والاجتهاد الفقهى نوع من استخدام العقل وبذل الجهد والطاقة من الفقيه المتخصص، فى استنباط حكم فقهى، لأمر لا نّص فيه، قياساً على أمر فيه نص، أو حمل النظير على النظير؛ وكذلك الاجتهاد فى شئون التقنية والاختراع العلمى؛ كلها تعتمد على الاجتهاد العقلى؛ لتطوير هذه الحياة وتحسينها وإعمارها قال تعالى : ﴿ ... وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ سورة هود ٦١.

٤ - فهم حقيقة الإنسان : خلق الله آدم بيده، ونفخ فيه من روحه،وأسجد له الملائكة وزوجه حواء، وأسكنه فسيح الجنة، وأمره أن يأكل من أشجارها وثمارها؛ ويتمتع بنعيمها؛ ونهاه عن الأكل من شجرة معينة؛ وعصى آدم ربه، وأكل من هذه الشجرة، ثم تاب إلى الله وقبل الله توبته، وأهبطه إلى الأرض خليفة عن الله فى إعمارها وإصلاحها؛ وقد زود الله آدم عليه السلام بأدوات هذه الخلافة.

فمنحه العقل والإرادة والاختيار، وأعطاه السمع والبصر والحواس والفؤاد؛ ونفخ الله فيه من روحه، وميزه فى ازدواج عناصر تكوينه؛ فهو مكون من جسد وروح، صالح لترقية نفسه وتصفية روحه؛ ليكون أعلى من الملائكة؛ وصالح للانتكاس، والجرى وراء الشهوات والملذات؛ من أجل ذلك أرسل الله له الرسل؛ وأنزل عليهم الكتب، قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ سورة النساء ١٦٥. إن معرفة الإنسان لنفسه، وأنه خلق؛ ليكون خليفة عن الله فى إعمار الأرض تستدعى معرفته بأن من واجب الخليفة أن يعمل على تحقيق مقصود من استخلفه، فيعمل على إعمار الأرض، وترقية الحياة وإسعاد البشر والتسامى بغرائزه وامتثال أمر الله، واجتناب نواهيه، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ سورة الشمس ٧ - ١٠.

٥ - تحقيق وسطية الأمة وشهادتها : ينبغى أن يكون من بين أهداف مناهج العلوم الشرعية؛ السمو بالمتعلم إلى درجة من الكمال؛ تجعله قادراً على المساهمة

بإيجابية وفاعلية؛ فى تحقيق وسطية الأمة؛ وشهادتها على الناس، قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... ﴾ سورة البقرة ١٤٣.

ووسطية الأمة الإسلامية؛ لأسباب متعددة من بينها ما يأتى:

أ - الإسلام دين وسط فى التصور والاعتقاد، فيه سماحة ويسر، وتكاليف ونظم، وانفتاح على ما عند الآخرين، فالحكمة ضالة المؤمن.

ب - أمة الإسلام وسط فى التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب، وإنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب، وتزاوج بين هذه وتلك. فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلهم كذلك إلى وحى الوجدان.. ولكن مزاج من هذا وذاك.

جـ - أمة الإسلام أمة وسط فى الارتباطات والعلاقات؛ لا تلغى شخصية الفرد فى شخصية الجماعة أو الدولة، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته، ولكن تشجع الفرد على خدمة الجماعة وتجعل الجماعة كافلة للفرد فى تناسب واتساق.

د - أمة الإسلام « أمة وسط فى موقعها الجغرافى، فقد نشأت الدعوة فى سُرَّة الأرض وفى أوسط بقاعها بين شرق وغرب، وشمال وجنوب».

وما تزال هذه الأمة بموقعها تَشهد الناس جميعاً، وتَشهد على الناس جميعاً، وتعطى ما عندها لأهل الأرض قاطبة، وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة، وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك، وتتحكم فى هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.

هـ - أمة وسط فى الزمان، تنهى عهد طفولة البشرية من قبلها، وتحرس عهد الرشد العقلى من بعدها؛ وتزاوج بين تراثها الروحى من عهود الرسالات، ورصيدها العقلى المستمر فى النماء، وتسير بهما على الصراط السوى بين هذا وذاك.

إنها - إذن - الأمة التى تشهد على الناس جميعاً فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم؛ والرسول (صلى الله عليه وسلم) هو الذى يشهد على هذه الأمة فيقرر لها موازينها وقيمها، وبهذا تتحدد حقيقة الأمة ووظيفتها؛ لتعرفها؛ ولتشعر بضخامتها؛ ولتقدر دورها حق قدره وتستعد له استعدادا لائقاً.

ز - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : الهدف السادس من أهداف منهج تدريس العلوم الشرعية، تكوين الذوق المسلم، الذى يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويؤمن بالله هدفاً وغاية، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ سورة آل عمران ١١٠.

لقد أخرج الله هذه الأمة بحكمته وتدبيره، إلى مسرح الوجود، ووضع على كاهلها واجباً ثقيلاً، هو أن تكون فى الطليعة دائماً، وفى مركز القيادة دائماً، ولهذا المركز تبعاته، من التقدم العلمى، وعمارة الأرض، وصيانة الحياة من الشر والفساد.

وينبغى أن تكون لهذه الأمة، القوة التى تمكنها من الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران ١٠٤.

نحتاج إلى علماء متخصصين، لهم حكمة التبليغ ووسائله، وقوة الإقناع، وسوق الأدلة والبراهين، كما قال (سبحانه) : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾ سورة النحل ١٢٥.

نحتاج إلى سلطة تساند وتعاون دعاة الخير. وفى الأثر : (إن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن)، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴾ سورة النساء ٦٤.

ح - استعادة تميز الأمة الإسلامية : إن التسابق بين الأمم يسير على قدم وساق، فى ميدان العلم والتقنية والتجارة والاقتصاد، وغيرها من وسائل القوة والتفوق.

لقد كان الجهاد فى سبيل الله يحتاج إلى إعداد وتدريب محدود فيما سبق، ويتقنه الإنسان فى أحضان البيئة التى يعيش فيها، والآن أصبح الإعداد الحربى يحتاج إلى مهارات متعددة، يقضى الإنسان عمره كله فى دراستها، ودراسة تطبيقاتها وإبداعاتها.

إن العاقل ينبغى أن يكون بصيراً بزمانه، خبيراً بأمور الحياة، والمسلم المعاصر إذا أراد أن يعيش كريماً معززاً على هذه الأرض، فلابد من أن يعمل على تميز هذه الأمة، فى عقيدتها وفى منهجها، وفى اتجاهها، وهذا التميز يحتاج إلى بذل الجهود وتكاتفها، وتعاون الأمة ووحدتها، وصدق الأفراد فى البذل والعطاء، والتعاون والتكاتف، والإعداد والتنظيم، ونظافة اليد، وحسن الإدارة، وشرف المقصد.

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴾ سورة الأنفال ٦٠، كانت القوة هذه فى السيف والرمح ورباط الخيل، ثم تطورت إلى ركوب البحار، واختراع المدفع والطائرة والدبابة والغواصة، وأحدث وسائل التقنية، ولا بد لنا من الإحاطة بكل ما نستطيع الإحاطة به، من علوم الحرب فى البر والبحر والجو، وسائر الفنون الحربية، حتى تظل لنا هيبة ومنعة، تجعل العدو يتردد كثيراً، قبل أن يخوض الحرب معنا، فلا شىء يمنع الحرب أكثر من الاستعداد لها.

لذلك لابد أن تمهد المناهج فى العلوم الشرعية، لتعزيز دراسة العلوم والتقنية، وسائر الفنون الطبية والهندسية والعلمية، حتى يكون للأمة الإسلامية تميزها، وقوتها وتكاملها، وعدم احتياجها للآخرين، وبهذا تكون لنا الصدارة والقيادة، ويكون لدعوتنا وأمتنا، المكان اللائق بها، كما قال (سبحانه وتعالى) : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ... ﴾ سورة آل عمران ١١٠. وإلى جوار القوة المادية، نحتاج إلى القوة المعنوية، إلى الثقة بالنفس، واليقين الجازم بقدرة الله ومعيته للمتقين، والثقة بتعاليم الإسلام وهديه، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وبأن أمتنا لها الصدارة بما تحمل من قيم وتراث ورسالة خالدة هى رحمة للعالمين، وأن أمتنا الإسلامية، ما تقهقرت وتراجعت، إلا حين فرطت فى حق هذه الرسالة، ولم تعتبرها شرفاً وخيراً، وإنها

حين تعود إلى تعاليم الإسلام وهديه قلباً وقالباً، يعود إليها مجدها وعزتها، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف ٤٤. أى أن القرآن شرف للأمة وسبيل لعزها ومجدها، وتميزها بما تملك من تعاليم الإسلام، وبما تعمل به من هذا الهدى والرحمة، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ١٠٧.

ط - العمل على تحقيق وحدة الأمة : الهدف الثامن من أهداف منهج تدريس العلوم الشرعية، هو العمل على وحدة الأمة الإسلامية، فهى أمة ربها واحد، وهوالله (سبحانه وتعالى) الواحد الأحد، ورسولها واحد هو محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقبلتها واحدة، وهى الكعبة تتجه إليها الأمة الإسلامية فى سائر بقاع الأرض، وتصبح الكعبة قطب الدائرة المتسعة، التى تتلاقى فى الهدف وفى الاتجاه، قال تعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ... ﴾ سورة البقرة ١٤٤. وكتابها واحد وهو القرآن الكريم الذى دعانا إلى الوحدة والجماعة قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ٩٢، ولابد من تربية المسلم المعاصر على الإيمان بضرورة التجمع والتكتل، فالأمم الصغيرة لا تستطيع أن تحيا حياة كريمة فى عصر التجمعات الكبيرة، إن هذه الوحدة أشبه بالعدسة التى تجمع الأشعة المتفرقة من أشعة الشمس، فتحرق بها الجسم الذى يتعرض لها، فاجتماع الأشعة فى بورة واحدة، قد أكسبها قوة وشدة وبأساء وتأثيراً.

والأمة الإسلامية، قد دبت الفرقة بين أقطارها، واشتدت الخصومة بين بلدانها، ففقدوا الخير الكثير، بفقد هذه الوحدة، التى حثهم الله عليها، حيث يقول (سبحانه وتعالى) : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا ... ﴾ آل عمران ١٠٣.

ويقول (عز شأنه) : ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ سورة الأنفال ٤٦.

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (ترى المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) رواه البخارى.

وروى البخارى أيضاً أن رسول الله (صلى الله عيه وسلم) قال : (لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره).

نحن إذن فى حاجة لتربية المسلم المعاصر، القادر على المساهمة بإيجابية وفاعلية فى تقوية الروابط، التى تعيد لهذه الأمة وحدتها، وقيادتها، وسيادتها.

ك - إعانة الإنسان على تحقيق ذاته : من أهداف منهج تدريس العلوم الشرعية، إعداد الإنسان إعداداً جيداً متكاملاً، وشحذ كل استعداداته وقواه المدركة، الظاهرة والباطنة، إلى أقصى حد هيأها الله له، فالرجل لا بّد أن يعد ويهيأ؛ كى يكون رجلاً، يقوم بمسؤولياته كرجل فى العمل والإنتاج والبناء والتشييد، وعمارة الحياة وترقيتها، والمرأة لابد أن تعد وتهيأ؛ كى تكون أنثى وأما مربية، ومديرة لمنزلها وأسرتها، وعاملة أيضاً أو موظفة فيما يناسبها من الأعمال، وذلك عند الضرورة.

يقول الدكتور على أحمد مدكور فى كتاب منهج تدريس العلوم الشرعية: (يتم إعداد الإنسان؛ كى يحقق ذاته، ويحسن أداء رسالته، وفق منهج الله عن طريق التربية، فى الأسرة والمدرسة والنادى والمجتمع، فإذا كان البيت هو أقوى هذه الوسائل الأربع، فإنه الآن قد تفكك، بسبب غياب عماد هذا البيت، وهو الأم فى العمل أو غيره، هنا تبرز المدرسة بمناهجها المخططة، وفق نظام دقيق؛ لتحقيق أهداف محددة واضحة كأبرز مؤسسة تربوية فى عصرنا الحاضر، وإن هذا يلقى على عاتق المنهج المدرسى، تبعة تربية البنت، تربية تؤهلها لكى تكون زوجة وأما، ومديرة بيت، ومربية أجيال فى المقام الأول، ثم يأتى أى شىء آخر بعد ذلك).

إن منهج التربية الإسلامية فى المجتمع المسلم، هو ذلك المنهج الذى يساعد الفتاة على تحقيق ذاتها وفق الفطرة: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ سورة

الروم ٣٠، وذلك عن طريق إعدادها فى مرحلة الشباب الباكر، لمهمتها العظيمة المرتقبة، فإذا جاء الزواج كانت مهيأة لدورها بطريقة ملائمة.

والخلاصة: أن من أهداف مناهج العلوم الشرعية: إعداد الفتى والفتاة لأداء دورٍ واجب فى هذه الحياة، فلابد أن يكون المسلم المعاصر، قادرا على المساهمة بإيجابية وفاعلية، فى تحقيق هذه الأهداف، التى بها تعلو أمة الإسلام.

إن الأمة هى مجموعة أفراد، وإذا أحسنا تربية الأفراد وتوجيههم، وغرس مبادئ الإيمان فيهم؛ نكون قد وضعنا لتربية أبنائنا حجر الأساس، ويَحسُنُ إرشادهم إلى توقير القرآن والتمسك بأخلاقه وآدابه، ومعرفة السنه المطهرة، وهدى السلف الصالح، والزهد فى الدنيا، والإقبال على الآخرة، والبعد عن قرناء السوء، وتخير الجليس الصالح، والتأدب بآداب الإسلام فى العبادات والمعاملات، والتزام الحلال والبعد عن الحرام، والعناية بالتربية البدنية والصحية؛ فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير.

كما ينبغى تربية المسلم والمسلمة على الشجاعة الأدبية والنفسية، واستعمال العقل والرأى والفكر، والاستنباط والابتكار، والابتعاد عن التقليد الأعمى، واحترام العلم والعلماء سواء أكان العلماء من رجال الشريعة، أم من رجال الطب والهندسة والزراعة وغيرها، قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وهذه الآية جاءت بعد مقدمات عن الكون والجبال والأجناس مما يؤكد احترام القرآن للعلوم الكونية والعلمية والعملية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ سورة فاطر (٢٧ - ٢٨).

خاتمة : عند تصميم منهج لتدريس العلوم الشرعية ينبغى أن نتساءل:

١ - هل يشتمل هذا المنهج على ترسيخ عقيدة الإيمان بالله والأخوة فيه؟.

٢ - وهل يشتمل على فهم حقيقة الكون ؟

٣ – وهل يشتمل هذا المنهج على فهم حقيقة الحياة ؟

٤ – وهل يشتمل على فهم حقيقة الإنسان ؟

٥ – وهل يشتمل هذا المنهج على تحقيق وسطية الأمة وشهادتها ؟

٦ – وهل يشتمل على مساعدة الدارسين على مهمة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

٧ – وهل يشتمل على حث الدارسين على استعادة تميز الأمة الإسلامية؟

٨ – وهل يشتمل على تحقيق وحدة الأمة .

٩ – وهل يشتمل على إعانة الإنسان على تحقيق ذاته ؟

وأخيراً هل يجمع هذا المنهج بين التراث والمعاصرة؟ وهل يخطط لمستقبل الأمة وما ينبغى أن تكون عليه فى القرون القادمة؟ وهل يدعو إلى الاستفادة بالتقنية والعلوم الحديثة؟ وهل يشجع الابتكار والاستنباط ؟.

والله ولى التوفيق .

من ملاحق البحث

تجربة عملية

أعدّ قسم الأحياء بكلية العلوم - جامعة السلطان قابوس برنامجاً لدبلوم البيئة (قسم الماجستير)، وتقدم قرابة عشرين طالباً وطالبة، من الحاصلين على بكالوريوس علوم، بشرط الحصول على تقدير جيد جداً على الأقل. واختار القسم خمس طالبات وطالباً واحداً، فالمجموع ٦ دارسين، هؤلاء الذين حصلوا على أعلى التقديرات، فى المقابلات الشخصية والاختبارات التى أجراها قسم الأحياء، واختار القسم مواد متعددة، كلها تدرس باللغة الإنجليزية، لطلبة دبلوم البيئة.

ورغبت إدارة الجامعة أن ينضم إلى المواد المقررة، دراسة عن (البيئة فى التصور الإسلامى)، وهى دراسة فى ١٢ ساعة فقط، مدة أربعة أسابيع، بواقع ثلاث ساعات فى الأسبوع، وفى داخلها عمل بحوث واختبارات فى نهاية الشهر، تكون نتيجتها : أ، أو ب، أو ج، أو د، أو هـ. وهذه الدرجات مقدار نسبتها ٢٥٪ من مقرر آخر فى الجغرافيا وغيرها، يكون مجموعها ٧٥٪، أى أن الدراسة كانت (ربع مقرر) هذه الدراسة كانت باللغة العربية، قدمها أ.د / عبد الله شحاته - أستاذ ورئيس قسم العلوم الإسلامية- جامعة السلطان قابوس - كلية التربية والعلوم الإسلامية.

وصف الدراسة

تقع الدراسة فى ٨٠ صفحة فلوسكاب، طبعت فى مطبعة جامعة السلطان قابوس، وقدمت بالفعل لطلبة متخصصين فى قسم الأحياء بكلية العلوم، واشتملت على العناوين الآتية :

- رؤية الدين الإسلامى فى الحفاظ على البيئة .
- مقدمـــــــــة :
- الباب الأول : نظرة الإسلام إلى الكون والبيئة.

الباب الثانى : حماية العناصر الطبيعية والمحافظة عليها، ويدخل تحته العناوين الآتية:

- الصباح والمساء، الرسول (صلى الله عليه وسلم) والكون، المؤمن منفعة، العناصر الأساسية فى الكون :

(١) السماء: من آثار القدرة الإلهية.

(٢) الماء: الماء وسيلة الطهارة، المياه العذبة والمالحة والمحيطات، البحر الأبيض المتوسط، روح الدين والتلوث، الماء، ماء المطر، دورة المطر.

(٣) الأرض والتربة : المحافظة على النعمة ، نموذج من تفسير آيات القرآن ، قال تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ الحِجْر ١٩.

(٤) الجبال ، آيات القرآن بشأن الجبال، تحرك الجبال.

(٥) الزراعة، القرآن والزراعة، بهجة المنظر، أثر الزراعة فى تحسين البيئة، رؤيا ملك مصر، وتفسير سيدنا يوسف لها، غرس الأشجار وحمايتها، البيئة فى السنّة النبوية الشريفة، فوائد الأشجار والخضرة.

(٦) حماية الحيوانات وحسن معاملتها.

الباب الثالث - نظافة البيئة :

النظافة، الوضوء، الاغتسال، سنن الفطرة، نظافة الفم والأنف واليد والرأس، والثوب والطعام، نظافة مصادر الماء والشراب، نظافة المساكن والطريق العام، من هدى السنة فى النظافة ، الميكروبات والوقاية منها بالنظافة، تعاليم الإسلام الوقائية، عند حدوث المرض المعدى.

الباب الرابع - الأخلاق والفلسفة البيئية :

أخلاق الإسلام- أبواب الخير المتعددة، الإسلام حث على التعاون والتراحم، ولذلك أثره فى سلامة البيئة، دور الشباب فى تنمية وحماية البيئة .

الباب الخامس – الهواء :

تلويث الهواء، آثار تلويث الهواء.

الباب السادس – حماية الإنسان والبيئة من التأثيرات الضارة :

١ – الفضلات. ٢ – المبيدات. ٣ – المواد المشعة. ٤ – الضوضاء.

٥ – المسكرات والمخدرات الأخرى.

الباب السابع : القواعد الشرعية لحماية البيئة:

– واجبات الفرد والجماعة.

– واجب ولاة الأمور.

– خلاصة منهج الإسلام فى الحفاظ على البيئة.

★★★

تعليق :

هذه دراسة علمية عملية، طبعتُ فيها منهجاً جديداً؛ لتدريس العلوم الشرعية، وراعيت أن يكون المنهج محققاً، للأهداف التى ينبغى توافرها، وهى :

١ - تعميق شعور الإيمان بالله، والأخوّة فى الله قولاً وعملاً.

٢ - تعميق فهم حقيقة الألوهية.

٣ - تعميق فهم حقيقة الكون، وحقيقة الإنسان، وحقيقة الحياة.

٤ - أن يعين المتعلمين على الحفاظ على تميز الأمة الإسلامية بعقيدتها ومنهجها.

٥ - أن يعمل على تعميق مشاعر الوحدة والترابط.

٦ - أن يسهم فى مساعدة الإنسان المسلم،- ذكراً كان أم أنثى- على تحقيق ذاته،وفق فطرة الله.

ومن أهم ما يجب أن يتصف به محتوى منهج تعليم العلوم الشرعية ما يلى:

١ - أن يكون محتوى حضاريا شاملاً.

٢ - أن يكون نظرياً وعملياً معاً.

٣ - أن يهتم بحاجات المتعلمين ومشكلاتهم.

٤ - أن يركز على الاتجاهات والقيم والمفاهيم.

٥ - أن يكون غنياً بالخبرات المتنوعة.

والله ولى التوفيق .

★★★

قصة يوسف

قصة يوسف

الحلقة الأولى:

رأى يوسف فى منامه أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا يسجدون له، سجود تحية وحب، لا سجود عبادة، وفى الصباح أخبر أباه يعقوب بهذه الرؤيا فاستبشر بها خيرا ، وتأمل فى ابنه أن يكون له مستقبل كبير ، يكون فيه ملكا أو وزيرا ، ويسجد له أبوه وأمّه وإخوته وهم أحد عشر أخا . وقال يعقوب ليوسف : «اكتم أمر هذه الرؤيا ولا تخبر بها إخوتك ، حتى لا يضمروا لك الحسد والغيرة» .

وانتشر خبر هذه الرؤيا ، وشاع أمرها بين إخوة يوسف فاستبدت بهم الغيرة، وعزموا على التخلص من يوسف ، فاجتمعوا وتآمروا على يوسف ، قال أحدهم: «نقتله ونستريح منه»، فقال يهوذا : «القتل جرم كبير ، ولكن ألقوه فى أسفل الجب ، فاذا مر به قوم يريدون الشرب من البئر التقطوه وأخرجوه ».

يوسف فى الجب

مكث يوسف فى الجب: وهو بئر عميق فترة من الوقت، واشتد عليه الظلام ، وصار وحيدا حزينا . وفى الصباح جاء ركب مسافر وألقى الدلو فى البئر فتعلق به يوسف ، ولما خرج الدلو صاح الناس من جمال يوسف وحسن منظره ، واستولوا على يوسف، وعرضوه للبيع ، فاشتراه عزيز مصر، ولمح العزيز فى يوسف مخايل الذكاء؛ فرغب فى إكرامه وتبناه ، وقال لامرأته : «اكرمى يوسف ، وعامليه معاملة حسنة، عسى أن يكون لنا ولدا ، أو ينفعنا فى الكبر والشيخوخة ».

امرأة العزيز

أكرمت زليخا يوسف ، وعاملته معاملة كريمة ، وشاهدت يوسف يزداد شبابا وحيوية ، وأدبا وسموا ، ومكارم أخلاق ، فتعلقت بحبه ، وفتنت بجماله ، لكنها ذكّرت نفسه بمنزلتها السامية ومنزلة زوجها، وأن هذا غلام أو شاب عبرانى لا يليق أن تنظر إليه ، وحاولت أن تكتم حبّها فى قلبها ، وأن تصرف نفسها عن يوسف ، لكنها وجدت نفسها تزداد تعلقا به ، وحبا له .

فعرضت نفسها عليه ، وتزينت له ، وحاولت إغراءه ، واستمالته إليها ، لكنه أعرض عنها ولم يلتفت إليها .

وفى يوم صممت على الوصول إلى هدفها ، ونيل بغيتها من يوسف ، فتزينت بأبهى حلتها ، وأغلقت الأبواب المؤدية إلى غرفة نومها ، ونادت على يوسف وقالت: «تهيأت لك ، وأنا الآن ملك لك»، فقال لها : «اتقى الله ، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم ، فزوجك أكرمنى وأحسن منزلتى ، والعدوان على عرضه ظلم كبير ، ولا يُفلِح الظالمون ».

ولم تسمع زليخا كلام يوسف ، وحاولت الاعتداء عليه ، انتصافا لها ، وفكّر يوسف فى ضربها أو قتلها لكنه تذكر الله تعالى ، فألهمه الله أن الفرار خير من النّزال ، فتركها وسبق إلى الباب ففتحه الله أمامه ، لكنها أسرعت خلفه وأمسكته من قميصه ، وجذبته إليها فانقطع القميص فى يدها ، ثم مرَّ العزيز فى هذه الحالة، فاتهمت يوسف بأنه حاول الاعتداء عليها ، فدافع يوسف عن نفسه ، وأظهر الله براءة يوسف ، حيث شهد قريب من أقارب زليخا ، وهو شيخ من كبار عائلتها ، بأن القميص إذا كان قد شقَّ من الأمام ، فهذا دليل على أنه هو الذى حاول الاعتداء عليها ، وأنها دافعت عن نفسها ، فشقت قميصه من الأمام ، أما إذا كان القميص قد انشق من ظهر يوسف وخلفه ، فهذا دليل على أنه هو الصادق ، وأنها هى التى كانت تحاول الإمساك به ، لتنال منه مأربها ، وشاهد العزيز القميص ، فرآه قد انشق من الخلف ، فقال لزليخا : «إن هذا من كيدك وتدبيرك»، (إن كيدكن عظيم).

وطلب من يوسف ألا يخبر أحدا بهذا الموضوع ، وأن يستر على زليخا ، وطلب من زليخا أن تستغفر الله تعالى وتتوب إليه من هذه الخطيئة، التى تعمدت الوقوع فيها : (واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين) .

حديث نساء المدينة

سمعت نساء المدينة بقصة يوسف ، ورغبة زليخا فيه ، فتعجبن من ذلك ، وقالوا : عجبا ، امرأة تملك ثروة ومنزلة عالية ، وزوجها وزير كبير ، تتنزل من كبريائها ، وتحب فتى عبرانيا حبا شديداً ملك عليها شغاف قلبها ، وسمعت امرأة العزيز كلام النساء عنها ، فدبرت حيلة لهن ، حيث دعتهن إلى مأدبة كبيرة ، وجمعت زوجة الساقى، وزوجة الخباز، وزوجات الوزراء ، وأعدت لهن مجلسا مريحا، ووزعت عليهن الأطباق والسكاكين؛ ليقطعن الفاكهة أو الطعام ، وأمرت يوسف أن يخرج عليهن ، فلما شاهدنه انبهرن بجماله واعتداله وكماله وأدبه ، وقالت النسوة: سبحان الذى خلق هذا الإنسان الكامل (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) عندئذ أحست امرأة العزيز أنها انتصرت عليهن وقالت لهن : هذا هو يوسف الذى شاهدتموه لفترة محدودة ، فالتمسوا لى العذر؛ لأننى أشاهده فى الصباح والمساء ، وأراه فى الغدو والرواح، وإننى فعلا طلبت منه الفاحشة لكنه امتنع واعتصم بقوة عليا ، ولابدّ أن يطيعنى ، وينفذ أوامرى وإلا أمرت بدخوله السجن ، أو تعريضه للعذاب الأليم .

وتجمعت النسوة حول يوسف ؛ تغريه بالاستجابة لامرأة العزيز ، والتمتع بجمالها ومالها ، وتفادى دخول السجن ، والبعد عن وعيدها ومخالفتها .

لكن يوسف لجأ إلى الله تعالى ، وطلب منه أن يصرف عنه هذه الفتنة وهذا الإغراء ، وقال : «يا رب السجن فى طاعتك خير من ارتكاب المنكر» ، واستجاب الله دعاء يوسف ، وصرف عنه كيد النسوة ، وأرادت زليخا أن تقطع ألسنة الناس عنها ، فقالت لزوجها ، إن يوسف يتكلم عنى كلاما قاسيا ، فأمر زوجها بمحاكمة يوسف ثم أمر بإلقائه فى السجن وهو برىء ، حتى يسكت الألسنة عن زوجته ، واستقبل يوسف فى السجن محنة جديدة تلقاها بقلب الصابرين ، وعزم المؤمنين .

الحلقة الثانية

يوسف السجين

دخل يوسف السجن، فكان السجن له نجاة من الفتنة، ومن الإغراء بالمعصية ، دخل يوسف السجن قرير العين ؛ لأنه لم يرتكب ذنبا ، ولم يقتل نفسا ؛ لذلك انصرف إلى أعمال الخير ، يزور المرضى ، ويواسى المصابين ، وينصح الأشرار ويبارك الأخيار ، ثم يدعو إلى الله وإلى الإيمان به؛ وينهى عن عبادة الأصنام .

وفى يوم جاء إليه رجلان من المسجونين ، أحدهما كان يعمل ساقيا للملك ، والثانى خباز الملك ، قال الأول : «رأيت فى منامى أنى أعصر عنبا يتحول إلى خمر»، وقال الثانى : «رأيت فى منامى أنى أحمل خبزا فوق رأسى ثم تأتى الطير فتأكله». وطلبا منه تأويل هذه الرؤيا .

– فقال للأول : «إنك ستعود إلى العمل ساقيا للملك» . – وقال للثانى : «إنك سيحكم عليك بالإعدام والصلب وتأكل الطير من رأسك» .

وصدق تأويل يوسف ، فخرج الأول فعاد ساقيا للملك ، وصُلب الثانى ، ومكث يوسف فى السجن سبع سنين .

رؤيا الملك

رأى الملك فى منامه سبع بقرات سمان قوية وسبع بقرات ضعيفة ، ورأى سبع سنبلات خضر ، وسبع سنبلات يابسة ، وشاهد البقرات الضعيفة تأكل البقرات القوية ، وطلب الملك من حاشيته تفسير الرؤيا ، فعجزوا عن تفسيرها ، وقالوا إنها أحلام مضطربة لا نعلم تأويلها .

فتذكر ساقى الملك رفيقه فى السجن ، وقال للملك إن فى السجن فتى كريما نبيلا ، صانعا للمعروف ، حسن السيرة ، مبارك الأخلاق ، وهو يفسر الأحلام ، وذهب ساقى الملك إلى يوسف ، ففسر يوسف هذه الرؤيا ، بأن النيل سيجود عليهم سبع سنين بالماء ، وتخصب الأرض بالزراعة ويعم الخير ، ثم يأتى سبع سنين أخرى فيها الجدب والقحط ، فعليهم أن يقتصدوا فى أكل الطعام ، وأن يدخروا القمح فى

سنابله ، والذرة فى كيزانه ، حتى يستمر محفوظا سبع سنين ، وبعد ١٤ عاماً يجود ماء النيل ويعم الخير مرة أخرى .

يوسف عزيز مصر

خرج يوسف من السجن بريئا ، شهدت له النسوة بأنه كان عفيفا طاهرا ، ثم سأل الملك امرأة العزيز عنه ، فقالت : «لقد كان صادقا عفيفا ، أنا راودته عن نفسه، لكنه كان طاهرًا أمينا» ، فازداد إعجاب الملك به ، وجعله وزيراً مفوضا ، مطلق اليد فى إدارة البلاد وعمارتها ، وكان حازماً لبيبا ، عارفا أن النيل سيجود سبع سنين ، ثم يجف ماء النيل ، فادخّر القمح والذرة ، ونظم التموين ، واستطاع أن ينجى مصر والبلاد التى حولها من المجاعة ، وأشاع العدل والنظام والخير فى البلاد .

إخوة يوسف

جاء إخوة يوسف من أرض كنعان بالشام إلى مصر؛ طلبا للقمح ، ودخلوا عليه فعرفهم ، لكنهم لم يعرفوه ، فقد تركوه فى الجب ولا يعلمون عن خبره شيئا ، وهم يشاهدون أمامهم وزيرا كريما مفوضا ، وأكرم يوسف وفادة إخوته ، وباع لهم القمح الذى أرادوه ، ثم دّس لهم الثمن الذى أحضروه معهم ، فى داخل أكياس القمح ، وتكرر حضور إخوته؛ لشراء القمح ثلاث مرات ، وفى المرة الثالثة ظهر عليهم أثر المجاعة والضعف ، فرق يوسف لحالهم ، وعرَّفهم بنفسه ، وبأخيه بنيامين، وقال لهم: (أنا يوسف وهذا أخى قد منَّ الله علينا ، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين). وبهتوا وهم يشاهدون يوسف ، يحكى لهم قصته ، وصبره فى الجبِّ ، وصبره أمام النسوة ، وتحمله السجن ، وتفسيره رؤيا الملك ، واختيار الملك له وزيرا مطلق اليد ، وكل هذا بسبب التقوى والصبر وطاعة الله تعالى ؛ « فإن من وجد الله وجد كل شىء ، ومن فقد الله فقد كلَّ شىء » .

تحقيق الرؤيا

عاد إخوة يوسف إلى أبيهم فى أرض الشام، ومعهم قميص يوسف ألقوه على وجه أبيهم ، فعاد بصيرا ، متمتعا بالصحة والسعادة والفرح والسرور .

ثم حضر إخوة يوسف جميعا ، وهم أحد عشر رجلا ، ومعهم أبوه وأمّه ، وخرج يوسف؛ لاستقبالهم خارج مصر ، وقال لهم: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)، ثم جلس يوسف على سرير الملك ، وأجلس أبويه بجواره ، ثم سجد له الإخوة والوالدان سجود تحية لا سجود عبادة ، وعندئذ شكر يوسف ربّه على ما أعطاه من الملك والجاه ، ثم جمع له أسرته وسجدوا بين يديه، وكان هذا تحقيقا للرؤيا، فالأحد عشر كوكبا هم إخوته ، والشمس والقمر هما أبوه وأمه ، ثم رفع يوسف يديه إلى السماء شاكرا فضل الله ونعمه، وقال :

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ سورة يوسف آية ١٠١.

خاتمة

أختتم هذه السطور بدعوة إلى كل عربى وعربية ؛ وكل مسلم ومسلمة ، وكل مسيحى ومسيحية ؛ وكل مواطن شريف على ظهر الكرة الأرضية ؛ بأن نقف صفا واحدًا ؛ كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

بأن نتعاون على البرِّ والتقّوى ، بأن يكون لنا وجود حقيقى فعلى ، على ظهر هذا الكوكب .

إن هجمة صهيونية شرسة، تتآمر على الحق والعدل والسلام ، وهذه الهجمة المتعصبة، تحتاج منا جميعا أن نعود إلى تراثنا، وقيمنا، وتاريخنا، وأدبنا، ومناهجنا.

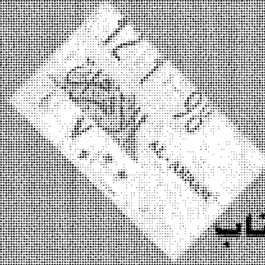
أن نذكى روح الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، أن نتواصى بالبر والتقوى ، أن نأمر بالمعروف وأن ننهى عن المنكر ، أن نحافظ على القيم والاستقامة ، أن نحب الوطن وندافع عنه ، أن نؤازر إخواتنا فى فلسطين ، أن نضع للأعداء فى كلمة لا معنى لا، وفى كلمة نعم معنى نعم . أن نستنهض همم الشباب والرجال والنساء والفتيان والفتيات .

أن نلجأ إلى المسجد والكنيسة ودور العبادة ، أن نبارك الجهاد والبذل والتضحية والفداء .

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ سورة الروم / ٤ -٥ .

المحتوى


تم بحمد الله



هذا الكتاب

الأديان السماوية كلُّها ، رسالات السماء ؛ لهداية الناس وإمدادهم بما يحتاجون إليه .

وهذا الكتاب نموذج للتوافق بين الدين والحياة : تحدث عن الإسلام والبيئة ، وعن تفسير القرآن الكريم ، وعن البيت المسلم ، وعن تربية الأبناء ، وتعليمهم ؛ وعن الجن والسحر والحسد ، والوقاية منها . وتحدث عن الزواج الناجح ، وعن النهوض بخطبة الجمعة ، وعن مسئولية رئيس القسم الأكاديمي بالجامعة ، وعن النهوض بمناهج تدريس العلوم الشرعية ؛ وعن شئون إسلامية لها واقع ملموس في صميم الحياة.

وبذلك يتحول الدين إلى طاقة مبدعة ، وروح جديد ؛ وفجر جديد تشرق معه آمالنا بحياة أفضل – إن شاء الله – .

هانى أحمد غريب

7